المقتبس

اليمن وسكانها

-٢-

نسب اليمانيين وتفرقهم

لا خلاف في ان عرب اليمن من بني قحطان ويعدون من العرب العاربة واكثر قبائل العرب من اليمن كما قال البلخي فمنهم السكون وخولان والازد ومازن بن الازد وميدعان بن الازد والهنو بن الازد ورماد بن سلامان ومنهم آل العنقاء والفراهيد وقساحل وبلادس وثهلان وحرجنه وبطون كثيرة قد دونت في كتب الانساب حتى ماتسقط قبيلة ولا تخذ ولا رهط ولا بطن واصل ملوك غسان بالشام من عرب اليمن

قالوا وربما اغار اليمانيون على البلدان فيرجعون الى بلادهم . واليمن قبائل كثيرة اذا دخلت فيهم قضاعة وجذام ولخم وبجيلة وخثعم وكان اول من ذكر اسمه وعرف قدره سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن ولده كهلان بن سبأ وحمير بن سبأ وقضاعة من قبائل حمير تفرقت بعض هذه القبائل في البلاد فنزلت ازد شنوءة ارض الشحراة وماحولها في الشام وسارت غسان الى الرام حتى نزلت بارض البلقاء وتنصروا واقاموا ملكين بالشام من قبل صاحب الروم وسار من ولد حوالة بن الهنو بن الازد الى الموصل وقدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس حتى نزل ارض العراق فانشأ ملكا بالحيرة

قال بعض آل اسعد بن ملكيكرب (كليكرب ؟) تبع ذاكراً منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب وغيرها

وقد فارقت منا ملوك بلادها فصاروا بارض ذات مبدى ومحضر
وقد نزلت منا خزاعة منزلا كريما لدى البيت العتيق المستر

وفي يثرب منا قبائل ان دعوا ... اتوا سريا من دارعين وحمير
هم طردوا عنها اليهود فاصبحوا ... على معزل منها بساحة خيبر
وغسان حي عزهم في سيوفهم ... كرام المساعي قد حووا ارض قيصر
وقد نزلت منا قضاعة منزلا ... بعيداً فاضت في بلاد الصنوبر
وكاب لها ما بين رملة عالج ... الى الحرة الرجلاء من ارض تدمر
ولخم فكانت بالعراق ملوكها ... وقد طحرت عدنان في كل مطحر
وحلت جذام حيث حلت وشاركت ... هنالك خما في العلى والتجبر
وأزد لها البحران والسيف كله ... وارض عمان بعد ارض المشقر
ومنا بارض الغرب جند تعلقوا ... الى بربر حتى اتوا ارض بربر

هكذا ذكروا تفرق اليمانيين واصولهم اما مدنيتهم التي حملوها فقد اكد احد علماء الآثار ان اليمن سبقت بتمدنها بابل ومصر ومنها هاجر اجداد الفراعنة ومنها كان اجداد البابليين الاشوريين والى مصر وبابل واشور حمل اليمانيون الصناعات والعلوم والتجارة وتوغل بعضهم حتى استنبط ان اليمانيين او الحميريين هم الذين مدنوا شواطئ آسيا وافريقية واوربا وقالوا انهم كانوا اميل في القديم بمدنيتهم الى التجارة لا الى الغزو والغارة ولذلك كان معظم الاذواء يتجرون فاذا كانت لرجل منهم مطامع في السيادة تغلب على البلاد

والاذواء كثيرون منهم ذو الجناح وذو المنار وذو رعين وذو نواس وذو مجن وذو الكلاع سيف بن ذي يزن وقد استولى الحبشة بعد ذي نواس على اليمن فلم يدعوا رجلا الا قتلوه ولا بناء الا هدموه ورئيسهم ابرهة الاشرم فخربوا المدن والخراب من عهدهم بدأ في الغالب وملك الفرس اليمن الى عهد الاسلام وكان اراد كسرى انوشروان على فتحها ان ذي يزن يستنجده ويستعينه على السودان وامتدحه بالحميرية فاعجب كسرى بقصيدته لما ترجمت له

ومن الاذواء علس ذوجدن كان كما في الاغاني ملكاً من ملوك حمير ولقب ذاجدن لحسن صوته والجدن الصوت بلغتهم ويقال انه اول من تغنى باليمن . رووا انهم حفروا حفيراً في زمن مروان فوقفوا على أزج له باب فاذا هم برجل على سرير كاعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه انا علس ذو جدن القيل خليلي مني النيل ولعدوي مني الويل طلبت فادركت وانا

ابن مئة سنة من عمري وكانت الوحش تأذن لصوتي وهذا سيفي ذو الكف عندي ودرعي ذات الفروج ورمحي الهزبري وقومي الفجواء وقرني ذات الشعر فيها ثلاث مائة حشر من صنعة ذي نمر اعددت ذلك لدفع الموت عني فحماني قال الراوي فنظرنا فاذا جميع ذلك عنده

ولما حار حسان بن تبان اسعد ابو كرب باهل اليمن يريد ان يطأ بهم ارض العرب وارض العجم كما كانت التبابعة قبله تفعل حتى اذا كان ببعض ارض العراق تلقى رواية الطبري كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وارادوا الرجعة الى بلادهم واهليهم فكلموا اخاه ان يقتله ليخلفوه عليهم ففعله ومرج امر حمير عند ذلك وافترقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة منهم يقال له لخيعة يزوف ذو شناتر فملكهم وقتل خيارهم وعبث ببيوت اهل المملكة منهم فقال قائل من حمير يذكر ما ضيعت حمير في امرها وفرقت جماعتها ونقت من خيارها

تقتل ابناها وتنفي سراتها ... وتبقي بايديهم لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها ... وماضيعت من دينها فهو اكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها ... واسرافها تأتي الشرور فتخسر

ثم تهودت حمير وكان بنجران بقايا من اهل دين عيسى على الانجيل اهل فضل واستقامة لهم من اهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع اصل ذلك الدين بنجران وهي باوسط ارض العرب في ذلك الزمان واهلها وسائر العرب كلها اهل اوثان يعبدونها ثم ان رجلاً من بقايا اهل ذلك الدين وقع بين اظهرهم يقال له فيميون فحملهم عليه فدانوا به قال هشام زرعة ذو نواس فلما تهود سمي يوسف وهو الذي خد الاخدود بنجران وقتل النصارى وكانوا قريباً من عشرين الفاً افلت منهم رجل وقدم على ملك الحبشة فاعلمه ماركبوا به واتاه بالانجيل قد احرقت النار بعضه فانجده برجال كما بعث الى قيصر ان ينجده بالسفن والاخدود هو المذكور في القرآن « قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود » فجاء جيش النجاشي ورأسه ارياط فقتل ثلث اليمن واخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلث ابناءها وقد اخرب مع ما اخرب من ارض اليمن سلحين و بيتون وغمدان حصوناً لم يكن في الناس مثلها فقال:

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا ... لاتهلكي اسفا في ذكر من ماتا
ابعد بيتون لاعين ولا اثر ... وبعد سلحين يبني الناس ابياتاً

وقد ساق ابو الفرج الاصفهاني كيفية مقتل حسان بن تبع على يد عمرو اخيه وكيف تشتت امر حمير حين قتل اشرافها واتلفت عليه حتى وثب على عمرو ظليمة تنوف ولم يكن من اهل بيت المملكة فقتله واستولى على ملكه وكان يقال له ذو شناتر الحميري وكهف اسمه زرعة ذو نواس وكانت له ذؤابة وبه سمي ذا نواس وهو الذي تهود وتسمى يوسف كما مر وهو صاحب الاخدود بنجران وكانوا نصارى نخوفهم وحرق الانجيل وهدم الكنائس ومن اجله غزت الحبشة اليمن لانهم نصارى كما ساق كيفية خروج سيف بن ذي يزن الى كسرى يستنجده على الحبشة بسبب غزو ذي نواس اهل نجران وكانوا نصارى فحصرهم ثم ظفر بهم فخدد لهم الاخاديد وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك فحرقهم بالنار وحرق الانجيل وهدم بيعتهم

ملوك اليمن وعمرانهم

قال ابن حوقل : كانت اليمن عظيمة خطيرة الملوك فمنهم من ملك اكثر الارض في سالف الزمن كتبع الذي مدن مدينة صنعاء وسمرقند وكان يقيم بهذه حولا وبهذه آخر ولم يكن فيما سلف من الزمان وممر الدهور والايام من علت كلمته واتسعت مملكته واستفحلت جبايته كفرعون وذي القرنين وتبع ممن ثبت الملك فيه وفي عقبه فاما اموالها في وقتنا (القرن الرابع) الواصلة الى سلاطينها وملوكها وارباحها واصحاب اطرافها فمن جملتها ابو الجيش اسحاق بن ابراهيم بن زيادة بعد اهل البحرين المتصلين كانوا بموالينا والذي تحت يده فمن الشرجة الى عدن طولا على ساحل البحر وارض تهامة اليمن ويكون مقدار ذلك اثني عشرة مرحلة وعرضه من الجبال الى ساحل اليمن من عمل غلافقه ويكون مقداره مسيرة اربع مراحل واكثر امواله المقبوضة من العشور وهي ماينيف على خمس مائة الف دينار عشرية [1] ومن قبالات زبيد عن جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشتمل عليه من وجوه الاموال مائتا الف دينار عشرية واكثر ملوك الجبال يخطبون له على منابرهم في وقتنا هذا ويصل اليه من جباية عدن على المراكب العشرية

(١) عشر بلد باليمن بينها وبين مكة عشرة ايام وهي على مسيرة سبعة ايام في عرض يومين وهي من الشرجة الى حلي ويبلغ ارتفاعها في السنة خمسمائة الف دينار عشر والى تبالة تعد من اعمال زبيد وتبالة يضرب المثل بخصبها بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخا نحو مسيرة ثمانية ايام وبينها وبين الطائف ستة ايام وبينها وبين بيشة يوم واحد — قاله ياقوت

مما لايقع بموافقة ولا ضمان و يعمل بالامانات لربما زادت المراكب ونقصت وقد يرتفع له في السنة عن هذا المكان مائتا الف دينار عشرية زائداً او ناقصاً ويؤخذ العنبر بسواحل عدن وماليها وله على ذلك ضريبة تصل اليه وله على صاحب جزائر دهلك موافقة من هدايا ترد عليه فيها عبيد وعنبر وغير ذلك وملكة الحبشة تهاديه ولا تقطع مبرته ومواصلاته ويتلوه في المكنة والمقدرة ابن طرف صاحب عثر وملكه يشتمل على وجوه من الاموال وضروب من الجبايات و يكون الواصل اليه كنصف الواصل الى ابي الجيش من المال و يتلوه الخزامي صاحب حلي وهو دون ابن طرف في المكنة والسلطان والجباية. وهؤلاء الثلاثة ملوك تهامة اليمن وابن طرف والخزامي جميعاً في طاعة ابن زياد في وقتنا هذا و يخطبون على اسمه

وملوك تهامة اليمن المعروفون بملوك الجبال كثيرة واجلهم ولد اسعد بن ابي يعفر وهو على الحجية وهو ملك صنعاء يخطب لابي الجيش و يضرب دراهمه على اسمه وليس ينفذ اليه مبرة ولا هدية وجميع وجوه امواله دون اربعمائة الف دينار فتصرف في مؤونته والى اضيافه وقاصديه وهو من سلالة التبابعة ومن بالجبال من ملوكها فجبايته دون هذه العدة من المال ومرافقه بقدر كفايته

واما الحسني صاحب صعدة فله جباية كثيرة ومستغلات من المدابغ وضرائب من القوافل كثيرة تضاهي ارتفاع ابن طرف وربما زادت ونقصت وصاحب السرين[1] فما يصل اليه يقوم به وباهله وليست بحال تذكر وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد مع التجار

اليك ملوك اليمن في القرن الرابع وما كانوا يتقاضونه من وجوه الارتفاعات مما تستدل منه على ثروة اليمن الغريبة واتساع اقاليمها ومخاليفها وكثرة قراها ومزارعها وقد وصف ابن حوقل ايضاً المسافات بين بلادها فقال تهامة اليمن فانها قطعة من اليمن جبال مشتبكة اولها مشرف على بحر القلزم (الاحمر) مما يلي غربيها وشرقيها ناحية صعدة وجرش ونجران وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء على نحو عشر مراحل وبلاد خولان تشتمل على قرى ومزارع ومياه معمورة باهلها وهي مفترشة وبها اصناف من قبائل اليمن ونجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر بهما نخيل و يشتملان على احياء من اليمن كثيرة وصعدة اكبر واعمر منهما و يتخذ بها ما كان يتخذ بصنعاء من الادم و يتخذ بنجران

(١) في اعمال صنعاء قرية يقال لها السرين

وجرش والطائف ادم كثير واكثره من صعدة وبها كان يجتمع التجار وليس باليمن جميعاً بلداكبر ولا اكثر مرافق واهلامن صنعاء وهو بلد في خط الاستواء وهومن اعتدال الهواء بحيث لايتحول الانسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً عمره وتقارب ساعات الصيف والشتاء والجذام به ظاهر لقلة سطوة الشمس به وفيه كانت تسكن ملوك اليمن فيما تقدم وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل كبير يعرف بغمدان وكان قصراً لملوك اليمن وليس باليمن بناء ارفع منه

والمذيخرة جبل اعلاه نحو عشرين فرسخاً فيها مزارع ومياه وفيه ينبت الورس وهو نبات احمر في معنى الزعفران يصبغ فيه ولا يسلك الا من طريق واحدة . وشبام جبل منيع جداً فيه قرى ومزارع وسكان كثيرة وفيه جامع ويرتفع منه الجمست والعقيق والجزع حجارة تعمل فاذا عملت ظهر جوهرها لان وجوه هذه الحجارة مغشاة ويلغني انها تكون في صحاري فيها حصى ملون تلقط من بينها . وعدن مدينة صغيرة وشهرتها لانها فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر وباليمن مدن اكبر منها ليست كشهرتها

وبلاد الاباضية بقرب حمدان وخولان وخيوان وهي اعمر بلاد بتلك النواحي مخاليف ومزارع واغزر هامياهاً . قال وبارض سبأ من اليمن طوائف من حمير وبحضرموت ايضاً واما ديار همدان واشعر وكندة وخولان فانها مفترشة في اعراض اليمن وفي اصقاعها مخاليف وزروع وبها بواد وقرى تشتمل على تهامة وبعض نجد ونجد اليمن غير نجد الحجاز غير ان جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالي نجد اليمن وبين النجدين وعمان برية ممتنعة قال وباليمن قرود كثيرة بالغني انها تكثر حتى انها لانطاق الا بجمع كثير واذا اجتمعوا كان لهم كبير يعظمونه ويتبعونه كالمسوب للنمل وبها دابة تسمى العدار بلغني انها تطلب الانسان فتقع عليه فان اصابت منه تلك الدابة جرحاً تدوّد جوف الانسان فانشق ويحكى عن بعض الغيلان ببابا ما لا استجيز حكايته لان المنكر لما لايعلم اعذر من المقر بما يجهل .

وذكر ياقوت ان المذيخرة قلعة حصينة في رأس جبل صبر وفيها عين في رأس الجبل يصير منها نهر يسقي عدة قرى باليمن وهي قريبة من عدن يسكنها آل ذي مناخ وبها كان منزل ابي جعفر المناخي من حمير . قال عمارة اليمني : المذيخرة من اعمال صنعاء وهو جبل بلغني ان اعلاه نحو عشرين فرسخاً فيه المزارع والمياه ونبت الورس وفي شفيره الزعفران ولا يسلك الا من طريق واحد وهو في مخلاف السحول ولما ملك الزيادي

اليمن واختط زبيد وحج من اليمن جعفر مولى زياد بمال وهدايا في سنة ٢٠٥ وسار الى العراق فصادف المأمون بها وعاد جعفر هذا في سنة ٢٠٦ الى زبيد ومعه الف فارس فيها مسودة خراسان سبعمائة فعظم امر ابن زياد وتقلد اقليم اليمن باسره الجبال والتهائم وتقلد جعفر هذا الجبل واختط به مدينة يقال المذيخرة ذات انهار ورياض واسعة والبلاد التي كانت لجعفر تسمى اليوم (القرن السادس) مخلاف جعفر والمخلاف عند اهل اليمن عبارة عن قطر واسع وكان جعفر هذا من الدهاة الكفاة وبه تمت دولة بني زياد ولذلك يقولون ابن زياد وجعفر

وذكر ياقوت في شبام انه جبل عظيم فيه شجر وعيون وشرب صنعا منه وبينها وبينه يوم وليلة وهو جبل صعب المرتقى ليس اليه الا طريق واحد وفيه غيران وكهوف عظيمة جداً ويسكنه ولد يعفر ولهم فيه حصون عجيبة هائلة وذروته واسعة فيها ضياع كثيرة وكروم ونخيل والطريق الى تلك الضياع على دار الملك وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك فمن اراد النزول الى السهل في حاجة دخل على الملك فاعلمه ذلك فيأمر بفتح الباب وحول الضياع والكروم جبال شاهقة لا مسلك فيها ولا يعلم احد ماوراءها ومياه هذا الجبل تصب الى سد هناك فاذا امتلأ السد ماء فتح فيجري الى صنعاء ومخاليفها وبينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ . قال عمارة اليمني في تاريخه وكان حسين بن ابي سلامة وهو عبد نوبي وزر لابي الجيشي بن زياد صاحب اليمن انشأ الجوامع الكبار والمنائر الطوال من حضرموت الى مكة وطول المسافة التي بني فيها ستون يوماً وحفر الآبار الروية والقلب العادية فاولها شبام وتريم مدينة حضرموت واتصلت عمارة الجوامع منها الى عدن والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة منها جامع ومئذنة وبئر وبقي مستولياً على اليمن ثلاثين سنة ومات سنة ٤٣٢ وذكر له فضائل وجوامع في كل بلدة من اليمن .

وذكر ابو الفدا من بلاد اليمن حصن تعز فقال هي في زماننا مقر ملوك اليمن وهي حصن في الجبال مطل على التهائم واراضي زبيد وفوق تعز متنزه يقال له صهلة قد ساق صاحب اليمن المياه من الجبال التي فوقها وبنى فيها ابنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان هناك . وذكر حصن الدملوة وقال انها خزانة صاحب اليمن قال ابن سعيد وهي على الجبل الممتد من الجنوب الى الشمال ويضرب بامتناعها وحصانتها المثل في شماليها تقع الجوة وهي بليدة مشهورة في جادة طريق الجبال . وذكر الشرجة وجبلة وهذه بين عدن وصنعاء والجند شمالي تعز وذمار وحلي وظفار ونجران وعدن ابين وصنعاء وصعدة

وبلاد خيوان وجرش (غير جرش سورية) ومأرب يقال لها سبأ وشبام وقصبة حضرموت ورباط .

وفي احسن التقاسيم ان ولايات هذا الاقليم متقطعة فاليمن لآل زياد واصلهم من همدان وابن طارف له عثر وعلى صنعاء امير غير ان ابن زياد يحمل اليه اموالاً ليخطب اليه وربما أخرجت عدن عن ايديهم وآل قحطان في الجبال وهم اقدم ملوك اليمن والعلوية على صعدة يخطبون لآل زياد وهم اعدل الناس وعمان للديلم وهجر للقرامطة وعلى الاحقاف امير منهم قال وصاحب صعدة لا يأخذ ضريبة من احد وانما يأخذ ربع العشر من التجار

وفي القرن السادس كان صاحب اليمن الملك المجاهد سيف الدين علي ابن الملك المؤيد هزبر الدين داود من بيت رسول وكان جدهم هذا رسول اميراً آخر للملك الكامل ناصر الدين محمد العادل ابي بكر بن ايوب فلما بعث الملك الكامل ولده المسعود اطسز وهو الذي تسميه العامة اقسيس بعث معه رسولاً اميراً آخر في جملة من بعثه معه ثم تنقلت الاحوال حتى استقل رسول بملك اليمن وصار الملك في عقبه

عجائب اليمن

ذكر الهمداني منها باب عدن وهو شصر (؟) مقطوع في جبل كان محيطاً بموضع عدن من الساحل فلم يكن لها طريق الى البر الا للرجل لمن ركب ظهر الجبل فقطع في الجبل باب مبلغ عرض الجبل حتى سلكه الدواب والحمائل والحامل والجفان . وقطع بينون جبل قطعه بعض ملوك حمير حتى اخرج فيه سيلان من بلدوراءه الى ارض بينون . وقلعة الجوتة لابي المغلس في ارض المعافر هي تطلع بسلم فاذا قلع لم تطلع . ومنها جبل تخلى وهو جبل واسع الرأس ذو عرقة مطيفة به تنزل الوبر والقرد وتحت العرقة عرقة وفي مواضع منه عرق مترادفة وليس تعم جميعه الا العرقة العليا والتي تحتها ورأسه واسع جداً فيه ثلاث قلاع حصون فاولها بيت فائس وهو من ارفع مافيه وفيها مسجد قائم كان الناس يزورونه والمضمار مثلها في الرفعة وبيت ريب حصن ذو عرقة منقطعة عليها قصور آل المنصور وحرمهم واموالهم لا مسلك لها غير باب واحد والأراس حصن بينها وبين بيت فائس وهو حصن واسع وبعد ان ذكر ابوابها قال وتغلق هذه الابواب على هذه الحصون وهذه الحصون وهذه القرى على ضياع تؤدي خمسة آلاف ذهب براً وشعيراً يكون سبعة آلاف وخمسمائة قفيز وتغلق على ميدانه وانوباته ومجزرته ومساجده

ومراعيه واغنامه و بقره وخيله ماخلا الابل فانها لاتطلعه وسيئ معظم حصونها زروع اعتقار فيها ماؤها ومرعاها وجميع مرافقها

ومدينة خولان العظمى صعدة وهي بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء، وهي في موسط بلد القرظ ربما وقع فيها القرظ من الف رطل الى خمسمائة بدينار مطوق عَلَى وزن الدرهم الثقلة واما ظاهر خولان فهو أسل وفيه قرى وزروع واعناب وافقين وجبل ابذر وابذر مثل جبل ذخار من الجبال التي في روسها الماء والمرعى والزرع والقرى

ويشتد في صنعاء البرد لايتحول الانسان الشتاء والصيف من مكانه فاذا اشتد بها الصيف وحرّ فدخل الرجل بقيل عَلَى فراشه لم يكن له بد من ان يدثر لان بيوتها في الصيف باردة لاجل قصة الجير المسيج بها بواطن البيوت فيدخل في المخدع عَلَى فراشه و يطبق عليه الباب و يسبل الستر ين والسجف فلا يتغير ضياء البيت لاجل الرخام الذي يكون في الجدران والسقف بل اذا كان في السقف رخامة صافية نظر عوم الطائر بظله عليها اذا حاذاها وتؤدي الرخامة لمعان الشمس الى القصة فتقبلها بجوهرها و بريقها . واعشاب اليمن وحبوبها غريبة في بابها ومنها الورس واللبان اللذان لايكونان في غير اليمن و يصيران في جميع الارض

ومن الآبار العجيبة البئر المطلة بريدة ومنها بئر سراقة لمراد في اسفل الجوف وطولها خمسون باعاً وماؤها عذب فرات لايكدرها الدلاء و بئر سام بن نوح بصنعاء وكهالة بئر ذي يزن بين زبيد وعدن و بئر هوت بحضرموت و بئر ميمون المذكورة في القرآن . اما معادن الفضة بالرضراض فما لانظير له وبها معادن حديد غير معمولة مثل نقم وغمدان وبها فصوص البقران و بلغ الثلث بها مالا وهو ان يكون وجهه احمر فوق عرق ابيض فوق عرق اسود والبقران الوان ومعدنه بجبل أنس وهو ينسب الى أنس ابن ألهان بن مالك والسعوانية من سعوان واد الى جنب صنعاء وهو فص اسود فيه عرق ابيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد الى جنب هنوم وظليمة والجمش من شرف همدان والعشاري وهو الحجر السماوي من عشار بالقرب من صنعاء والبلور يوجد في مواضع منها والمسني الذي يعمل منه نصب السكاكين يوجد في مواضع منها والعقيق الاحمر والعقيق الاصفر المتيقان من ألهان وبها الجزع الموشى والمسيء وهو في مواضع منها منه النقمي وهو فحل العرف والسعواني والصهباني منه الجلس والخولاني والجرقي من غديقة والشزب يعمل منه الواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداهن

وقحفة وغير ذلك وليس سواه الا في بلد الهند والهندي بعرق واحد .

ومحافد اليمن وقصورها القديمة التي ذكرتها العرب في الشعر والمثل كثيرة فاولها واقدمها غمدان ثم تلفم وناعط وصرواح وسلحين بمأرب وظفار وهكر وضهر وشبام وغيمان و بينون وريام وبراقش ومعين وروثان وأرياب وهنيدة وعمران والنجير بحضرموت .

وغمدان قصر عجيب قد بني على ثلاثة اوجه وجه بالجروب الابيض [1] ووجه بالجروب الاصفر ووجه بالجروب الاحمر ووجه بالجروب الاخضر والجروب الحجارة وابتنى في داخله على ما اتقن من اساسه قصراً على سبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعاً وسقفه من رخامة واحدة وجعل على كل ركن تمثال اسد من شبه كاعظم ما يكون من الاسد فكانت الريح اذا هبت من ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت جوفه من دبره ثم خرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير الاسد وكان يأمر (؟) بالمصابيح فتسرج في بيوت الرخام الى الصبح فكان القصر يلمع من ظاهره كلمع البرق فاذا اشرف الانسان ليلا قال ارى بصنعاء برقاً شديداً او مطراً كثيراً ولا يعلم ان ذلك من ضوء السرج فكان كذلك حتى احرق

قال ياقوت ان غمدان حصن كان بنزله الملك الذي يكون على اليمن وكان عجمياً فلما ملكت الحبشة اليمن اخربته الا بقايا هدمها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في الاسلام وقال ينبغي لمآثر الجاهلية ان تمحى وكان في الحصن مصنعة عليها قبة من طلق [2] وفيها يقول خلف الاحمر

ومصنعة الطلق اودى بها عوادي الاحابيش بالصيدن

وفيها يقول قدامة حكيم المشرق وكان صاحب كيمياء

فاوقد فيها نارة ولو انها اقامت كعمر الدهر لم تتضرم

لان الطلق لو اوقد عليه الف عام لم يسخن وبه يتطلى النفاطون اذا ارادوا الدخول في النار

وبنى ابرهة بن الصباح بصنعاء القليس وهي كنيسة بناها لصاحب الحبشة ليرد الناس

(١) هذه عبارة كتاب البلدان لابن الفقيه وفي العبارة تشويش (٢) الطلق بفتح الطاء وسكون اللام وحكي وزان مثل حجر براق يتشظى اذا دق صفائح وشظاياه يتخذ منها مضاوي للحمامات بدلا عن الزجاج واجوده اليماني ثم الهندي ثم الاندلسي

احسن منها ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء والوان الاصباغ وصنوف الجواهر وجعل خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ولكنها بانواع الاصباغ وجعل بخارج القبة برنسا فاذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلالا ضياء رخامها مع الوان اصباغها حتى تكاد تلمع البصر وسماها القليس (بضم القاف وتشديد اللام)

ومن قصور اليمن قصر شوحطان وقصر كوكبان واكثرها من عجيب البناء وقيل ان هذا القصر الاخير كان مبنياً بالفضة والحجارة وداخله بالياقوت والجواهر .

ومن اعظم عجائب اليمن السد الذي كان باليمن على مثال سد اسوان في مصر اليوم ومأرب كما قال السهيلي اسم قصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان بلي سبأ كما ان تبعاً اسم لكل من ولي اليمن والشحر وحضرموت وهذا السد على ماقال المسعودي من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب وكان سافله سبعين وادياً ومات قبل ان يستتمه فاتمته ملوك حمير بعده وقال المسعودي ايضاً ان بانيه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين شعباً . ومأرب بين حضرموت وصنعاء وبينها وبين صنعاء اربعة ايام وهي قرية ليس بها عامر في القرن السابع الا ثلاث قرى يقال لها الدروب الى قبيلة من اليمن فالاول من ناحية صنعاء درب آل الغشيب ثم درب كهلان ثم درب الحرمة وكل واحد من هذه الدروب كاسمه درب طويل لاعرض له طوله نحو الميل كل دار الى جنب الاخرى طولاً وبين كل درب نحو فرسخين او ثلاثة وهم يزرعون على ماء جار يجيء من ناحية السد فيسقون ارضهم سقية واحدة فيزرعون عليه ثلاث مرات في كل عام ويكون بين بزر الشعير وحصاده في ذلك الموضع نحو شهرين . وسد مأرب بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج الا من جهة واحدة فكان الاوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع مايجتمع من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر فكانوا اذا ارادوا سقي زروعهم فتحوا ذلك السد بقدر حاجتهم بابواب محكمة وحركات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه اذا ارادوا . قال ابن حوقل ويجتمع الماء الذي بارض اليمن في ديار سبأ انما كان موضع مسيل ماء فبني على وجهه سد فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى والمزارع حتى كفروا النعمة بعدان كان الله تعالى قد جعل لهم عمارات قرى متصلة الى الشام فسلط على ذلك المكان آفة فكان لايمسك ماء وهو قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها الى قوله ومزقناهم كل ممزق فبطل ذلك الماء الى يومنا هذا .

اما سيل العرم الوارد ذكره في الكتاب العزيز بقوله « فارسلنا عليهم سيل العرم» فانه كان على رواية في ايام ملك حبشان فاخرب الاماكنة المعمورة من ارض اليمن وكان اكثر ما اخرب بلاد كهلان وعامة بلاد حمير وولد حمير وكهلان هم سادة اليمن في ذلك الوقت خربها حتى لم يبق من جميع الارضين والكروم الا ما كان في رؤوس الجبال والاماكنة البعيدة مثل ذمار وحضرموت وعدن ودهيت الضياع والحدائق والجنان والقصور والدور وجاء السيل بالرمل وطمها على ذلك الى القرن السابع

ومعنى العرم (بفتح اوله وكسر ثانيه) السكر والمسناة التي تسد فيها المياه وتقطع وهي تلك المسناة التي كانت قد احكمت لتكون حاجزاً بين ضياعهم وحدائقهم وبين السيل . وقيل العرم الماء الاحمر او اسم واد بعينه او اسم للجرذ الذي نقب السكر عليهم وهو الذي يقال له الخلد وقيل العرم المطر الشديد قال المثلم بن قرط البلوي

الم تر ان الحي كانوا بغبطة بمأرب اذ كانوا يحلونها معاً

وقال الاعشى

ففي ذاك للمؤتسي اسوة ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير اذا ما تأى ماؤهم لم يرم
فاروى الحروث باغنامها على ساعة ماؤهم ان قسم
وطار الفيول وفيالهم بيهماء فيها سراب يلم
فكانوا بذلكم حقبة فمال بهم جارف منهدم

وقال جهم بن خلف:

ولم تدفع الاحسان عن رب مأرب منيته وما حواليه من قصر
ترقى اليه تارة بعد هجمة بأمراس كتان امرت على شزر

وقال عبيدالله بن قيس الرقيات :

يادار الحبائب بين صنعا ومأرب جاءك الصدغدوة والثريا بصائب
من حريم كأنما يرتمي بالقواضب في اصطفاق ورنة واعتدال المواكب

هل تسترد اللغة مجدها القديم

(تتمة ما في الجزء الاول)

نهضة العرب في الاسلام

لندع جزيرة العرب الآن الى ثلث القرن السابع لميلاد المسيح ثم لنعد اليها بعد ذلكم ولنحدث عما نرى

امة متفقة الكلمة مجتمعة الرأي متحدة اللغة والدين قد قوي اجتماعها واشتد اسره حتى صار كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وقد كفوا سيوفهم عن انفسهم وشهروها في وجوه عدوهم من الفرس والروم فطردوا كسرى من المدائن وأجلوا قيصر عن الشام

سلوني اين ذهب ما كانت توصف به هذه الامة من تفرق الكلمة وتشعب الرأي ومن تعدد الدين وتنوع اللهجات ..؟

اين شريعة موسى وتعليم المسيح ..؟

اين الوثنية وعقائد الصابئة والمجوس ..؟

اين حمية الجاهلية وعصبيتها ..؟

اين تلكم الضغائن التي كانت تثير الحفائظ وتأكل القلوب ..؟

كل ذلكم قد ذهب به الاسلام ايها السادة فلم يبق له في الجزيرة اثر ولست اريد ان ابحث عن مصدر ذلكم لاني انما احاضر في تاريخ اللغة لا في تاريخ الشعب

القرآن

كان القرآن للعرب شمساً نسخت عنهم ظل الجاهلية واضاءت منهم ظلمة النفوس ونقلت اجتماعهم من حال الى حال فقد جاءهم باضروب من القول لم يعهدوها وفنون من الكلام لم يعرفوها مشتملة على أمتن قواعد الاجتماع وأصح اصول التشريع ممتلئة بنافع الحكم ونابغ الكلم وجيد الوصف والتشبيه وصادق القصص والتاريخ وقد انكروه اذ سمعوه بادئة الامر ولكنهم لم يلبثوا ان خضعوا له واذعنوا لسلطانه طوعا او كرها بعد ان بهرهم جماله وسحرتهم روعته واصلحت قلوبهم حكمته وهذبت نفوسهم آدابه وظهر لهم الحق من ثناياه جميل الصورة وطلق المحيا يفتن رواؤه القلوب ويخلب الالباب ولست اريد ان اطيل وصف القرآن لان ذلك يحتاج الى محاضر خاصة وانما اقول انه

قد غير العرب تغييراً تاماً فلم يأت عليه خمس وعشرون سنة الاوقد ألان من القوم قلوباً قاسية وصفى طباعاً جافية وأرق اكباداً غليظة وهذب الفاظاً لجة ونقل الامة من البداوة الى الحضارة ومكن لها في الارض وهيأها للفتح والتغلب. وعلى الجملة انشأ من العرب خلقاً جديداً

هنالكم خضعت اللغة لمؤثرين كبيرين احدهما الاسلام والثاني الفتح

فاما الاسلام فقد صنع بالقوم ماعرفتم فحسنت لغتهم ورقت الفاظهم وظهرت عليها بشاشة الدين وطهارة النفوس

واما الفتح فقد استثار عواطف القوم بعد كمونها واطلق السنتهم بالخطب الرائعة والشعر الجميل نصراً للحق وذودا عنه

مذهب باطل

وهنا يجب علي ايها السادة ان ابطل مذهباً اجمع عليه كافة المؤلفين في آداب اللغة من المحدثين يتبعون فيه رأي المؤرخ الكبير ابن خلدون رحمه الله

زعموا ان الآداب العربية ولا سيما الشعر قد وقفت ايام النبي والخلفاء الراشدين لان العرب قد شغلوا عنها بالدين والفتح وتأسيس الملك فلما استقر الامر لبني أمية نهضت الآداب من كبوتها واستيقظت من غفوتها الى آخر مايقولون

خطأ جداً هذا المذهب ايها السادة لانه لايستند على حجة ولا يعتمد على دليل

نعم انهم لم يجدوا على ذلكم برهاناً الا شيئين اثنين الاول ان لبيد بن ربيعة وهو من فحول الشعراء المخضرمين قد ترك الشعر في الاسلام اعتداداً بالقرآن واحتفالاً به وقد بعث عمر بن الخطاب الى عامله على الكوفة ان استنشد من قبلك من الشعراء وابعث الي بشعرهم فدعا العامل لبيداً وابا النجم وابانهما امر عمر فاما ابو النجم فقال

أرجزا تريد ام قصيدا ـ طلبت شيئاً عندنا موجودا

واما لبيد فانه رجع الى بيته ثم غدا على الامير بلوح قد كتب فيه سورة البقرة وقال هذا شعري

الثاني ان محمد بن سلام وهو من علماء القرن الثالث للهجرة قال في كتابه طبقات الشعراء ان العرب في صدر الاسلام قد شغلوا بتأسيس الملك عن قول الشعر وروايته

والحقيقة ايها السادة ان ترك لبيد للشعر لاينهض حجة على العرب كافة قد تركوه او قصروا فيه وان ابن سلام رحمه الله قد اخطأ في الاولى واصاب في الثانية فان العرب

قد شغلوا عن رواية شعر الجاهلية ايام الفتح والفتن ولكنهم لم يشغلوا عن قوله يوماً ما ولذلك ضاع كثير من شعر الجاهليين بل من شعر المخضرمين لكثرة من استشهد من الرواة في ايام الردة وفي الفتح وايام الفتن السياسية الكبرى

واذا كان ابو بكر رضي الله عنه قد اشفق على القرآن الكريم ان يضيع بعد ان قتل من المسلمين خلق كثير في حروب الردة فكيف يكون حال الشعر ؟؟

وكيف يشغل العرب عن قول الشعر والنبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعه ويدعو اليه ويأمر شعراءه ان يدفعوا عنه بقصائدهم واشعارهم والخلفاء الراشدون كانوا يكثرون استنشاده والبحث عنه والقول فيه بل كيف يشغلون عن قول الشعر ومصادره الحقيقية قد كانت كثيرة موفورة فان صدر الاسلام لم يخل من حروب ينشد فيها الشعراء قصائد المدح للقواد المنتصرين والرثاء للشجعان المستشهدين وتحريض الاولياء وهجاء الاعداء والفخر بحسن البلاء ولو ان هؤلاء المؤلفين قرأوا التاريخ في كتبه المطولة المبسوطة واستظهروا ماتشتمل عليه سيرة النبي وتاريخ الخلفاء من متان القصائد وجياد الاراجيز في فنون الشعر المختلفة مااستطاعوا ان يسجلوا على انفسهم هذا القول ولا ان يصموا القرآن الكريم بأنه قد كان سبباً لانحطاط الآداب العربية يوماً ما

الخطابة

كان شأن الخطابة في صدر الاسلام ارقى بكثير من شأنها في الجاهلية لانها كانت صناعة الخلفاء والامراء وحرفة الجيش والذادة عن الثغور فقد سن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين صلاة الجماعة وجعلها من حق الخليفة يقيمها في حاضرة الدولة ويستخلف عليها الامراء في الولايات فكان يجب على الخليفة والامراء ان يخطبوا المسلمين يوم الجمعة من كل اسبوع ولم تكن هذه الخطبة مقصورة على الوعظ والدين كما هي الآن بل كانت تتناولهما وتتناول الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكان اجتماع المسلمين في مساجدهم يوم الجمعة اشبه شيء باجتماع المجالس النيابية الآن الا ان مجامعهم كان يرأسها الخليفة المسؤول امام الصغير والكبير حتى النساء ولم يكن يكره الخليفة ان يقوم له الرجل من اطراف المسجد فيرد رأيه او ينافس خطبته بل كان ذلك لهم مصدر سرور واعجاب

وكما انكم ترون الآن وزارات الامم الراقية لاتستطيع ان تنهض بعملها الا بعد ان تعرض خطتها السياسية على مجلس النواب كذلك كان الخلفاء الراشدون لايستطيع

احدهم ان ينهض باعباء الخلافة حتى يجمع المسلمين ويخطبهم خطبة يبين فيها نموذجا لسياسته التي سيتبعها في ايام خلافته عَلَى ان حادثاً كبيراً قد حدث للعرب فأثر في اخلاقهم وآداب لغتهم ولا سيما الشعر والخطابة وهذا الحادث هو الفتنة التي ابتدأت بقتل عثمان ولم تنته آثارها الى الآن

منشأ الفتن الاسلامية

منشأ الفتن الاسلامية ايها السادة شيء واحد وهو النزاع بين الملكية والجمهورية وقد بدئ هذا النزاع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكان بنو هاشم يرون الملكية الشورية ويعدون انهم احق الناس بوراثة الملك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولسان هذا الحزب علي والعباس وكان ابو بكر وعمر وعامة الصحابة يرون الجمهورية عَلَى ان تنحصر في قريش لان القرآن لم يجئ بوراثة الملك ولان النبي قد قال الائمة من قريش وقد انتصر هذا الحزب عَلَى جماعة الانصار الذين كانوا يريدون ان يكون منهم امير ومن المهاجرين امير كما انتصر عَلَى بني هاشم ايضاً فبويع لابي بكر وعمر ومن بعده لم يتخلف عن البيعة بنو هاشم لانهم كانوا يرجون ان يؤول الامر اليهم بعد موت هذين الرجلين ولما وضع عمر قاعدة الشورى وبويع عثمان وجد بنو هاشم في انفسهم وبايعوا مكرهين لان بني امية وهم رهط عثمان كانوا اكثر قريش عصبية واشدها قوة وكان يخشى منهم ان ينهضوا فيثبتوا الملك لانفسهم بالسيف ولذلك لم تمض عَلَى بيعة عثمان اعوام حتى ثارت اطراف الدولة عَلَى الولاة وكثر الطعن في الخليفة والتعي عليه ثم اقبلت وفود العراق ومصر الى المدينة وقد اضمروا الشر واستشعروه فحصروا دار عثمان ولم يتركوها حتى قتلوه وبايعوا علياً وكان هذا اول عهد الاسلام بالفتنة ولما قتل عثمان وبويع علي خرج عليه طلحة والزبير وعائشة يطالبون بدم عثمان فكانت بينه وبينهم موقعة الجمل ولم تكد تخمد هذه الثورة حتى خرج عليه معاوية واهل الشام يخلعونه ويطلبون قتلة عثمان ويردون الامر شورى بين المسلمين فكانت بينه وبينهم مواقع صفين ولما التحم القتال بينهما ولجأوا الى التحكيم خرج طائفة يقولون ان علياً ومعاوية ومن تبعهما قد كفروا بالله ومرقوا من الدين فحلت لنا اموالهم وانفسهم ونساؤهم وهكذا انقسم المسلمون اقساماً وتحزبوا احزابا

وتفرقوا شيعاً فكل جزيرة فيها امير المؤمنين ومنبر

قتل علي وتم الامر لمعاوية ولكنه لم يمت حتى عاد الانقسام الى المسلمين اشد مما

كان ونشأت فتن تمزقت لها وحدة الامة وتفانت من اجلها القوى ولست اريد ان اذكر الفتن واخبارها ولا ان اشرح غوامضها واسرارها بل يكفي ان اذكر لكم الاحزاب التي اوجدتها هذه الفتن فاولها حزب الشيعة وهم انصار بني هاشم وهؤلاء انقسموا قسمين كبيرين فمنهم من دعا الى بني علي ومنهم من دعا الى بني العباس — الثاني حزب الامويين وهؤلاء انقسموا قسمين ايضاً فمنهم من دعا الى بني معاوية ومنهم من دعا الى بني مروان — الثالث حزب الزبيرية وهم انصار عبدالله بن الزبير وكل هؤلاء يطلبون الملك ويطمعون فيه . الرابع حزب الخوارج وهؤلاء قد انقسموا اقساماً كثيرة ولكنهم يطلبون الجمهورية — الخامس حزب المرجئة وهم جماعة لم يظهروا الميل الى حزب من الاحزاب ولم يحكموا على احد بكفر ولا ايمان وانما تركوا ذلك لله وقد أظهروا الطاعة لكل ملك عادل من اي حزب كان . . . وكل هؤلاء الاحزاب كانت تحتكم الى السيف والقوة وتدافع عن آرائها بالشعر والخطابة وقد سلكوا بالشعر في تلكم الايام مسلك الصحف السياسية الآن وأنا أترك لكم تقدير ماينال الشعر والخطابة في أثر ذلكم الاختلاف من علو المنزلة وسمو المكانة ولكني اقول ان الخطب في هذا العصر قد طالت وتنوعت مناحيها وسلك بها الخطباء طرقاً جمة في الجدال وقد رقت الفاظها واستعارت من القرآن الكريم شيئاً من رشاقة الاسلوب ومتانته ولم تكن تحسب الخطبة الا اذا رصعت بشيء من آي الذكر الحكيم على طريقة الاقتباس وقد اختصت الخطابة في هذا العصر بوجوب ابتدائها بحمد الله والصلاة على نبيه فاذا لم تبدأ بالحمد فهي بتراء واذا خلت من الصلاة فهي شوهاء وهذه هي المعذرة التي حملتني على ان اخالف في هذه الخطبة عادة العصر الجديد

الآداب العربية في ايام بني أمية

تم الملك لبني امية آخرة الامر وقد ورث العرب ارض الفرس والروم وتهيأت لهم اسباب الثروة والغنى فسكنوا القصور الشامخة واتخذوا نضائد الحرير وسطور الديباج وطعموا في آنية الذهب والفضة وصحت فيهم نبوة ابي بكر رضي الله عنه حين قال لعبد الرحمن بن عوف والله لتتخذن نضائد الحرير وستور الديباج ولتألمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان فلم يكن لانفسهم بد من ان تتأثر بهذه الحضارة ولم يكن لالسنتهم مندوحة عن ان تخضع لهذا التأثر فرقت الالفاظ والمعاني ورشقت الاساليب والتراكيب وقد أعرب القوم عن اهواء نفوسهم وعواطف قلوبهم

بالغناء ونشأت فيهم طبقة من الشعراء لم تحسن الا ذكر النساء والتشبيب بهن وطبقة اخرى لم تجد الا وصف الخمر والاشادة بمحاسنها وآخرون نبغوا في المدح والهجاء والوصف والرثاء والفخر والوعظ وغيرها من فنون الشعر وقد ظهر ميل القوم الى العلم فاخذوا يبحثون عنه ويسعون اليه و بدأوا يضعون علوم الدين واستعاروا كثيراً من الالفاظ الاجنبية لكثير من المعاني المحدثة ولكن خطراً كبيراً تقدم اللغة ولم يكن الى اتقائه من سبيل فلندع العرب الآن في جزيرتهم ولنقف آثار اللغة في مواطنها الجديدة لنعرف هذا الخطر من مصدره ونتبين ما أعدوه له من الدواء

كيف انتشرت اللغة العربية

خرجت اللغة العربية من جزيرة العرب مع جيش المسلمين فصادفت لغة الفرس والروم في الشام والعراق فطردتهما ثم انتقلت الى مصر فصادفت لغة الروم والقبط فطردت الاولى ومحت الثانية ثم اخذت طريقها في شمال افريقية فلقيت لغات البربر فحصرتهن في رؤوس الجبال الاطلس ثم جاوزت الى الاندلس فالتقت باللاتينية والغوطية فحصرتهما في الكنيسة وبيوت المسيحيين

كل ذلك في مدة لا تتجاوز خمسة وثمانين عاماً فمن اين لها هذه القوة وذلكم البأس الشديد ..؟

هنا يجب ان نسير في البحث على مهل وأناة لأننا بأزاء شبهة عصرية ترد على الدين واللغة معا

قالوا ان دين العرب ولغتهم لم يسودا الا بالقوة والسيف واني اريد الآن ان اذود عن الدين فربما اديت هذا الواجب في محاضرة اخرى وانما اريد ان ادافع عن اللغة التي هي موضوع بحثنا الآن

اعتذر بعض القديسين من ظلم الكنيسة في القرون الوسطى فقال يضطهد الاشرار من يكرهون ولكن الكنيسة تضطهد من تحب

اما أنا فاقول ايها السادة ان الاسلام لم يضطهد حبيباً ولا عدواً واذا كانت حضارة الفرنج ومدنيتهم قد اباحتا لهم ان ينشروا لغتهم وهمجيتهم وعلومهم وآدابهم بالقوة والبأس فان بداوة العرب وهمجيتهم لم تبيحا لهم شيئاً من ذلك في صدر الاسلام وكذب من يزعم ان في التاريخ العربي الجميل اشارة ما الى ان اللغة العربية قد التجأت في سؤددها الى قوة أو اعتمدت على سيف

وكيف لايكذب ودواوين الحكومة الاسلامية في الشام والعراق ومصر قد بقيت أعجمية الى عصر عبد الملك بن مروان اي الى الزمن الذي استعرب فيه الناس واصبح من خطل الرأي وسوء السياسة معاملتهم بغير اللغة التي يفهمونها

اذاً فما هي الاسباب الحقيقية التي نشأ عنها انتشار اللغة وسؤددها ؟

ان لبعض الامم قوة طبيعية تمكنها من القهر والتغلب ومن الفوز والانتصار المادي والادبي أنى وجدت واذا اردت ان امثل لهذا النوع من الامم فلن اجد له مثالا الآن اصدق من الانكليز في اميركا

اولئك الذين يسحقون شخصية الامم ويمحقون جنسيتها في اميركا ويغلبون عليها جنسيتهم ولغتهم ودينهم من غير اعتماد على قوة ولا اعداد بسلاح وقد كان العرب من هذا النوع فتمكنوا من الغلب الادبي ولولا ان لغتهم صادفت من اهل الفرس عداء وحقداً ومن لغتهم قوة وشدة لاتت عليها في وقت قريب

وهناك سبب آخر لانتشار اللغة العربية وهو الدين العربي الذي يأخذ كل مسلم بالصلاة ومعنى ذلكم انه يأخذ كل مسلم بحفظ شيء من القرآن الكريم وليس على الدين من ذلك بأس فان الله لم ينزله الا ليجعل الناس امة واحدة كما انه لم يسد بالقوة ولم ينشر بالاكراه

ولقد نشأ عن اختلاط العرب بالعجم ومصاهرتهم شيء من فساد الالسنة واعوجاجها وظهر اللحن في اللغة من المولدين والمستعربين وهذا هو الخطر الذي اشرنا اليه آنفاً ولما احسه العرب في القرن الاول للهجرة نهضوا لاصلاح رسم المصحف ووضع النحو والصرف وجمع اللغة وتدوينها ولكن انقضت الدولة الاموية ولما يحصلوا من ذلك على شيء كثير

الآداب العربية في ايام بني العباس

نهضت دولة بني العباس والعرب قد سئموا الغزو وزهدوا فيه لطول ما اناخوا في الفتن والفتوح فمالوا الى الخفض والدعة واطمأنوا الى الترف والتعليم

وقد نضج العقل العربي فنزع الى البحث والتفكير ورغب في النظر في انواع الموجود فانقسمت الامة الى قسمين كبيرين قسم ينقل الحضارة ويهذبها وقسم يترجم العلم ويزيد فيه والخلفاء يشاركونهم في كل ذلكم ويشجعونهم عليه فلم يأت عصر المأمون رحمه الله حتى بلغت العرب من العلم والحضارة مالم تبلغه الامم ولم تصل اليه الشعوب

الخطابة

ولعلكم لم تنسوا تلكم الاحزاب السياسية التي اوجدتها الفتن الاسلامية واشرنا اليها آنفاً فقد اضعفت قوة العباسيين امرها بالمشرق وفات عزمها فاستحالت الى احزاب دينية خالصة وقد تركت السيف والسنان ولجأت الى القلم واللسان واعتمدت على الجدل والمناظرة معتدة بالعدل والحكمة معتزة بالفلسفة والمنطق فكان للخطابة من ذلكم جمال وروعة لم يكونا لها من قبل ولا سيما بعد ان عرفوا اصول الخطابة عند اليونان بما ترجموه من كتب أرسطوطاليس .. وقد اصبحت الخطابة في ايام بني العباس صناعة تعلم وقد انفرد لدرسها جماعة اشهرهم ابراهيم بن مخرمة السكوني وبشر بن المعتمر وقد وضعوا لها ادباً وشرائط خاصة دون بقية انواع القول و شتد حرصهم على مراعاة هذه الآداب والشرائط ولكن ذلك كله قد تهيأت له الاسباب في أواخر ايام بني امية كما هي القاعدة الفطرية فان تغير الاحوال الادبية وغيرها لايحدث بقيام دولة وسقوط اخرى وانما هو نتيجة تغير خفي في افكار الامة وعقائدها ومكوناتها

وهذا التغير الخفي هو المؤثر الحقيقي في جميع ما يحدث للامة من الاستحالات الادبية والسياسة والخلقية

وقد انحصرت الخطابة لذلك العهد في تلكم الاحزاب السياسية التي استحالت الى دينية وسميت بالمتكلمين ولا سيما بعد ان استهان الخلفاء بصلاة الجماعة والخطابة وقد بدأت هذه الخصلة في ايام بني امية واول من احدث ذلك فيما اعلم هو الوليد بن عبد الملك الذي اهمل أول ادب من آداب الخطابة فخطب جالساً على المنبر ولم يكن للناس بذلكم عهد وكثيراً ما لها الخلفاء بجوارهم عن صلاة الجمعة وانابوا عليها القواد ورجال الحاشية وقد تحدث صاحب الاغاني ان الوليد بن يزيد اصطبح يوم الجمعة فلما نودي للصلاة كره ان يفارق الكأس فبعث الى الناس في المسجد الجامع بجارية تؤمهم في الصلاة

ومما ابدع الوليد هذا في الخطابة انه شرب في يوم الجمعة فلما اراد الصلاة قال لندمائه والله لاخطبن الناس شعراً ثم صعد المنبر فقال

الحمد لله ولي الحمد نحمده في يسرنا والجهد

ثم استمر في ارجوزته حتى اتمها

لذلكم فقدت الخطابة منزلتها السياسية وعظم شأنها الديني عند المتكلمين فتبغ فيها

واصل بن عطاء وغيره وقد ادخل المتكلمون في الخطابة كلمات خصها العلماء بهم وحظروها على غيرهم فقالوا أليس وليس يريدون الاثبات والنفي وقالوا لاشى المادة يريدون جعلها لاشيء وقالوا ماهية الحيوان يريدون حقيقته وقالوا كيفية الجسم يريدون شكله وصورته الى غير ذلكم مما يخطيء فيه كتابنا حفظهم الله يستعملونه بغير حق ومأثم في استعماله الا ظالمون وقد تحدث الجاحظ رحمه الله ان بعض المتكلمين سمع في مجلس بعض الخلفاء رجلاً يتكلم و يقول اليس وليس فكاد يطير فرحاً و يتقد غيظاً فأما الفرح فلانه سمع كلمته الاصطلاحية واما الغيظ فلانه سمعها من غير متكلم اي من غاصب لها ومعتد عليها ولم يأت عصر المعتصم بن الرشيد حتى اعتمد العلماء على الكتابة واخذ ظل الخطابة في الزوال وربما كان آخر الخلفاء الذين خطبوا الناس من بني العباس هو المتوكل بن المعتصم

أستفيد ذلك من قول البحتري في تهنئته بالعيد ..

ووقفت في برد النبي مذكراً بالله تنذر مرة وتبشر

الشعر

اما الشعر فقد رقي في ايام بني العباس حتى كاد يفنى حسناً ولطفاً وقد تصرف في انواع من القول وتعددت مذاهبه ومناحيه باتساع الحضارة واستفحال العمران و كبر العقول والمدارك وأظنكم تفهمون مقدار الفرق الكبير بين الشعر العباسي وغيره من انواع الشعر العربي اذا سمعتم قول بشار في الشورى

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة للقوادم

او قوله في المدح

اذا ايقظتك خطوب الزما ن فنبه لها عمراً ثم تم

او قول ابي نواس في الغزل

دمعه كاللؤلؤ الوط ب على الخد الاثيل
ذرفت في ساعة الب ين من الطرف الكحيل
انما يفتضح العشا ق في وقت الرحيل

او قول البحتري في الاستعطاف

سيدي أنت ماتعمدت ذنبا فاجازي به ولا خنت عهدا

اتراني مستبدلاً بك ماءً ... ت بديلاً أوواجداً منك ندا
حاش لله انت اثمن الفا ... ظاً واحلى شكلاً واصلح قدا

او قوله في وصف عواطف الحب والبغض

اذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينهم ... شواجر ارحام ملوم قطوعها

على ان القرن الثالث للهجرة لم يكد ينصرم حتى ذهب معه جمال الشعر العربي وأخذ الشعر يبدو في منظر سمج ومعرض رث

الكتابة

بقيت صناعة من صناعات الآداب العربي لم نتكلم عنها في الجاهلية ولا في جميع الاعصر العربية الى الآن وهي الكتابة واظنكم تعلمون ان الجاهليين لم يكونوا على شيء منها لمكانهم من الامية فاما في صدر الاسلام وأيام بني امية فقد كانت الكتابة موجزة مجزأة الى ان جاء عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء من بني امية فاطال فيها وترسل وقفى اثره كتاب العباسيين ولكنهم بالغوا في الاطناب واغرقوا في الترسل وظهرت في رسائلهم صبغة الفلسفة التي اصطبغت بها عقولهم وقد اخذوا عن اللغات الاخرى كثيراً من الاساليب الجديدة ونبغ فيهم امثال ابن المقفع والجاحظ وابن وهب ولم يأت القرن الرابع للهجرة حتى اخذت الكتابة العربية في الانحطاط واخذ التكلف والمحاولة مكان الترسل والسهولة الفطرية

العلوم في ايام بني العباس

اشرنا في ايام بني امية الى ما أصاب اللغة من اللحن والتحريف وقلنا ان العرب أشفقوا على اللغة ان تفسد وعلى الكتاب ان تعبث به الالسنة فنهضوا لوضع النحو والصرف وجمع اللغة وتدوينها ولكن ذلك لم يتم الا في ايام بني العباس اذ نهض أئمة البصرة والكوفة فاخذوا اللغة عن قبائل العرب الخلص الذين وثقوا منهم بعدم مخالطة الهند والفرس والروم والحبش والقبط ثم دونوها في الكتب واستنبطوا منها قواعد الالفاظ من نحو وصرف واشتقاق ووضع الخليل بن أحمد علم العروض والقافية واصلح الخط ووضع شكله المعروف الى الآن مقتطفاً الفتحة من الالف والكسرة من الياء والضمة من الواو كما يظهر ذلك من مقابلة هذه الحركات الى تلك الحروف وقد توسع سيبويه في النحو والصرف فالف كتابه المعروف الشائع الى الآن والف الخليل بن احمد

أول معجم لغوي وهو كتاب العين وأخذ العلماء يصنفون الكتب الادبية يجمعون فيها اطرافاً من جيد الشعر وبارع النثر ليتظاهر بها الطلاب فيستعينوا بها على تقوية الملكة العربية وتقويم الالسنة وتفرغ قوم لرواية الحديث وآخرون لرواية المغازي والتاريخ وأيام العرب وغيرهم من الامم وانفردت طائفة لاستنباط الاحكام وتشريع القوانين وتدوينها وآخرون لرواية القرآن وعلم القراآت واختصت جماعة بنقل الكتب الفلسفية في العلوم المتنوعة عن الامم المختلفة وشرحها والزيادة عليها وعلى الجملة لم تجد اللغة العربية عصراً كهذا العصر أصبحت فيه لغة العقل واللسان والوجدان والدين ولكن ماذا ينفعها ذلكم وقد أصابها الخطر الداهم الذي لادافع له ولا مندوحة عنه فقد أصبح فساد الالسنة عاماً وأصبحت اللغة الفصحى في الحواضر مقصورة على العلماء والخاصة واما عامة الناس فأخذوا يتكلمون بلغة سيئة اللهجة فاسدة التركيب سوقية الاسلوب وظهر ان ذلكم الدواء الذي التجأ اليه العرب لم ينفع الا في حفظ اللغة والكتاب من الفساد فاما تقويم الالسنة وتهذيب المنطق فلم يكن قادراً عليهما وقد أخذ العامة يخترعون لهم فنوناً خاصة من الشعر لايزال كثير منها باقياً الى الآن وهو الذي يدور على السنة العامة والمغنين ولم يأت القرن الرابع حتى بدأ عصر الانحطاط

سقوط اللغة العربية

ففي ذلكم القرن بدت بوادر العلة على اللغة فذهبت نضرتها وتصوحت زهرتها ومال الكتاب الى السجع البارد والازدواج الفاتر والتكلف الممقوت وأخذ العلماء يستنبطون علوم الاساليب كالبيان والمعاني ولهوا بالقديم من جيد الكلام عن احداث الجديد من أمثاله وقد أخذ الشعراء يتعلقون باهداب البديع و يتشبثون بمحسنات اللفظ ويغلون في المجاز والاستعارة حتى صار لشعرهم معرض رث ومنظر سمج ولعل آخر من اجاد من الشعراء في هذا القرن على الطريقة الفنية الصحيحة المبرأة من العيب والنقد هو الشريف الرضي رحمه الله فاما المتنبي وابو العلاء فقد عنيا بالمعاني اكثر مما عنيا بالالفاظ على انهما كانا يحاولان الاجادة اللفظية فيقعان في التكلف الممقوت ليظهرا انهما قادران على اللغة ومحيطان بها وحسبكم من ذلكم لزوميات ابي العلاء وما فيها من اصطناع الحوشي واتخاذ الطرق الوعرة

فاما المتنبي فلا أستطيع ان أحصي سرقاته واستعاراته الباردة وتكلفه الممقوت وشغفه بالمحسنات اللفظية ولقد أحفظ من شعره ما لو أنشدتكم اياه الآن لظننتموه لغة

فارسية أو هندية عَلَى ان كل ذلكم لا يغض من قدر الرجلين في الحكمة والفلسفة أما الخطابة فلم يبق لها أثر في ذلكم العصر وأما الكتابة فقد كثر فيها السجع والتكلف كما قلنا وقد الفت كتب كلها عَلَى طريقة السجع وقد استعجمت الالفاظ ونشأ في هذا العصر نوع من الكتابة ليس له نتيجة الا الدلالة عَلَى المقدرة اللغوية كمقامات الحريري التي لا أريد ان أصفها الا بان كلام الجاهلين أقرب منها فهماً وأسوغ منها مذاقاً واحسن في الاسماع وادنى الى الطباع ولم يأت القرن السادس حتى لزمت اللغة العربية كلها وأخذت في الاحتضار وهذا يصعب علي ايها السادة ان ارافق اللغة وهي تحتضر فلا دعها الآن ولابحث عن اسباب نموها وسقوطها

اسباب نمو اللغة العربية

في اللغة العربية مزايا ثلاث هن اسباب نموها وارتقائها وهن الاشتقاق والمجاز والتعريب

فاما الاشتقاق فهو تغيير مادة الكلمة تغييراً قريباً او بعيداً او ابعد الى صور مختلفة للدلالة عَلَى معان متنوعة فكلمة الرفع مثلاً تدل عَلَى العلو فاذا غيرت الى الفرع دلت عَلَى الغصن واذا غيرت الى العرف دلت على الطيب واذا غيرت الى العفر دلت عَلَى التراب ثم لنا ان نأخذ منها رفع بالتحريك للدلالة عَلَى الماشي وكذلكم يرفع ورافع ومرفوع الخ

واما المجاز فهو اطلاق الكلمة عَلَى غير معناها لعلاقة بين الجديد والقديم مع قرينة تمنع من ارادة المعنى الاول فنستطيع ان نطلق الغيث عَلَى النبات لانه سببه وان نطلق النبات على الغيث لانه مسبب عنه وان نطلق العين عَلَى الرجل لانها جزء منه وان نطلق الاسد والبدر على الشجاع والجميل لان بينهما مشابهة ومشاكلة واما التعريب فهو نقل الكلمة الاجنبية الى اللغة العربية واصلاحها حتى تصير عَلَى الاوزان المقيسة المعروفة وهذا النوع كثير في كلام الجاهليين وفي القرآن الكريم وكثرته في عصر الامويين والعباسيين مدهشة ... فهذه المزايا الثلاث التي توجد في اللغة العربية أكثر مما توجد في اللغات الاخرى قد جعلت اللغة مستعدة للنماء والارتقاء قابلة لكل جديد مرحبة بكل طريف لاتضيق به مهما كان أمره ولذلك استطاعت ان تسع حضارة الفرس والروم وان تحيط بانواع العلوم عَلَى اختلافها من غير ان تشكو فقراً وتظهر احتياجاً

وفي اللغة العربية عيبان عارضان وهما كثرة الترادف والاغراق في الاشتراك اما

الترادف فهو دلالة الالفاظ الكثيرة عَلَى معنى واحد واما الاشتراك فهو دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة

الترادف والاشتراك طبيعيان في كل لغة ومصدرهما اختلاف الاذواق وتباين المشارب في الواصفين وهما من اقوى الادلة عَلَى ان اللغة من وضع الانسان فهما ليسا من عيوب اللغة وانما كثرتهما هي العيب وقد وجدت هذه الكثرة في اللغة العربية وبلغت حداً فاحشاً حتى ان بعض المعاني ليدل عليه المئات الكثيرة كما ان بعض الالفاظ يدل عَلَى عشرات المعاني

ومع السرور ايها السادة اقول ان هذا العيب ليس طبيعياً في اللغة العربية وانما هو عارض محدث واول عهد الناس به ايام بني امية وبني العباس فقد علمنا ان العرب كانوا ذوي لهجات متباينة ولغات متباعدة في الجاهلية ثم غلبت لغة قريش عَلَى اللغات بواسطة الاسواق وظهور الاسلام فلما نهض الائمة لجمع اللغة وتدوينها اخذوا لغات القبائل الصريحة على علاتها وخلطوها من غير تفريق ولا تمييز فنشأ من ذلك كثرة المعاني للفظ الواحد وكثرة الالفاظ لمعنى الواحد وهذان هما الترادف والاشتراك

هذه هي اسباب نمو اللغة العربية وثروتها وانتم ترون بانها كافية بان تجعل اللغة العربية من اقوى اللغات واقدرها عَلَى الحياة كما انها قد جعلت في اللغة كثيراً مما لاحاجة اليه

اسباب سقوط اللغة

اما سقوط اللغة فلم يكن عن ضعف فيها او فتور في طبيعتها وانما هو نتيجة سبب لا اعرف غيره وهو تغلب العجم عَلَى العرب وتعمدها اشهار الحرب عَلَى اللغة والدين والجنسية العربية حتى اتوا عليها جميعاً فأنتم تعلمون ان طبيعة الانسان توجب عَلَى الامة الغالبة ان تبذل قوتها في ان تجمع السيادة للغتها ودينها وآدابها ومن حسن حظ الاسلام ان الامم التي تغلبت عَلَى العرب لم تلبث ان دانت به واتخذته ديناً ولولا ذلك لحاربته وناوأته كما حصل ذلكم في بلاد الاندلس ايام تغلب الفرنج عَلَى المسلمين فقد استحالت المساجد بها الى كنائس ولم يبق للاسلام بها اثر قليل ولا كثير ومن حسن حظ اللغة ان الاسلام لا يستطيع ان يستغني عنها لان القرآن عربي والسنة عربية والفقه القديم عربي ولولا ذلكم لحقت اللغة العربية باخواتها القديمة الدارسة أو لأصبحت لغة صناعية كاللاتينية واليونانية القديمتين

نهضة اللغة في العصر الجديد

اقبل هذا العصر الجديد وقد اتت لغة الترك عَلَى اللغة العربية في الشام والعراق وبلاد العرب وطردتها الفارسية من بلاد الفرس فظلت لغة الدين في بلاد الدولة العلية وبها حديث العامة مع تحريف قبيح وبلهجات سيئة يمقتها المصري وان كانت لغته قد اصابها من التحريف شيء كثير اما الفرس فينطقون بها القرآن الكريم عَلَى غير مانطق به النبي صلى الله عليه وسلم يفخمون حروفاً ويرققون اخرى وربما لم يتيسر لهم حسن الاعراب في التلاوة وقد ناهضت لغات الفرنج والبربر عربية المغرب في شمال افريقية فشوهت محاسنها وجعلتها بحيث لاتكاد تفهم

نعم انها لاتزال لغة المساجد والدين ولسان العامة ولكن الفرنج قد اتوها من ناحية لاتأمن معها الفناء فاخذوا يعلمون لغتهم للاحداث ويهملون تعليمهم اللغة العربية حتى ينشأ أحدهم وهو لايعرف من لغته الا الرطانة السوقية التي يصطنعها العامة في احاديثهم وهي خليط من العربية والبربرية والفرنسية والاسبانيولية فقد ظهرت نتيجة هذه الحرب الضروس فكره شبان الجزائر لغتهم وزهدوا فيها حتى ان كتب الدين الاسلامي ربما الفت لهم بالفرنسية

اما في مصر فلم يكن نصيب اللغة من الفساد قليلاً بل كان كثيراً غالباً في الكثرة وحسبكم ان من العسير جداً ان تجدوا كاتباً مصرياً يجيد الاعراب في هذه العصور الاخيرة التي تنتهي قبل الآن باقل من نصف قرن غير ان الاحوال قد تغيرت في مصر والشام تغيراً غير قليل في هذه الايام فنهض من القطرين رجال حاولوا اتقان اللغة والنبوغ في فنونها فادركوا من ذلكم نصيباً موفوراً ثم عكفوا عَلَى احياء اللغة بنفس الطريقة التي اصطنعت ايام بني العباس وهي طريقة النقل والترجمة وليس من السهل ولا من المفيد ان نبحث عن اي القطرين كان اسبق الى ذلكم واحرص عليه ولكن يكفي ان نشير الى اسباب هذه النهضة ومقدماتها وذلكم غير عسير

للنهضة اللغوية في مصر زعيمان لكل منهما ركن يأوي اليه ويعتز به اما اولهما فالمرحوم رفاعة باشا نهض لاحياء اللغة بفضل الامير الجليل رأس الاسرة المالكة في مصر فقد اتقن العلم باللغة وتبحر في كثير من الفنون واخذ يترجم ويأمر اقرانه وتلاميذه بالترجمة ويصلح كثيراً من تراجمه حتى وجد في اللغة العربية كثير من الكتب المختلفة في انواع العلوم وكل ذلك يرجع الفضل فيه الى الوفود العلمية التي كان يبعثها ذلكم الامير الجليل

الى بلاد الفرنج لتدرس العلم وتعود الى مصر فتنقله اليها بلسان عربي مبين

نعم ان ذلكم لم يتيسر كل التيسر فان كثيراً من تلكم الكتب يشينها سوء العبارة وغموضها وسوقية اللفظ وسقوطه ولكن صدق المثل القائل «ماش خير من لاش» على ان هذه النهضة لم تكن الا مقدمة فمن الخطأ ان نتمنى لو كانت راقية كل الرقي او بالغة حد الكمال

اما الثاني فهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه ومعينه هو الوزير الخطير المرحوم مصطفى رياض باشا فقد نشأ الاستاذ رحمه الله محباً للعلم عاكفاً عليه وكان كما تعلمون ذكي القلب ثاقب البصيرة ماضي العزم شديد الصريمة فلم يلبث ان نبغ في كثير من الفنون و بلغ مالم يبلغه مصري قبله ولا بعده ولعلي لااغلو اذا قلت في جميع ايام التاريخ الى الآن

وقد اتقن رحمه الله اللغة الفرنسية وعرف ماتشتمل عليه من العلوم فأخذ يحث مريديه على ترجمة الكتب النافعة و يشجعهم و يعمل هو لذلك بقدر مايستطيع وأخذ يجد ايضا في احياء كثير من الكتب العربية القديمة وحسبكم ان كتاب المخصص في اللغة الذي ألفه ابن سيدة الاندلسي الا اثراً من آثاره وآثار مساعديه من رجال الاصلاح المخلصين وقد مات رحمه الله وله على اللغة فضل كثير وقد أصلح من لسان الحكومة غير قليل فحل منه عقدة كان معها أعجم لايبين

اما الآن فقد اصبحت نهضة اللغة في مصر فوضى ليس لها من زعيم ولذلكم كثر التخليط في الالفاظ والاساليب فالشعراء والكتاب يسترسلون في التعبير عن ضمائرهم غير جارين على قاعدة ولا معتمدين على قياس في كثير من الاحيان

الازهر

اجمع المؤلفون في تاريخ الآداب العربية من ابناء هذا العصر على ان الازهر الشريف كان هو المعقل المنيع والحصن الحصين الذي احتمت فيه اللغة العربيه من اغارة اللغات الاخرى عليها

واسمحوا لي ايها السادة بأن اقول ان هذا خطأ ليس له من الحق نصيب ولست اريد ان استدل على ذلكم بل يكفي ان ترجعوا الى كتاب المحاماة الذي ألفه الاستاذ الجليل فتحي زغلول باشا فانكم ستجدون فيه من كلام العلماء وفيهم الادباء والمنشئون مايضحك الثكلى و يسلي هم الحزين فان اعياكم هذا الكتاب فارجعوا الى كتب الازهريين

انفسهم فانها تستطيع وحدها ان تبرهن على ماادعيه فان اعيا كم فهم هذه الكتب فكتاب صغير يباع بثمن قليل اسمه انشاء العطار ارجو ان ترجعوا اليه فانكم ستجدون فيه احسن فكاهة لكم في اوقات الفراغ ولا تزال لغة الازهر الشريف الى الآن مع الاسف متأخرة عن لغة غيره من المدارس ومعاهد العلم وحسبكم دليلاً على ظلم الازهر للغة العربية ان كتاباً واحداً من كتب الادب او اللغة لم يكن يدرس فيه فلما جاء الاستاذ الامام امر ان يقرأ فيه كتاب الكامل للمبرد ولكنه لم يكد يخرج من الازهر حتى ألغيت قراءة الكتاب الى ان جاء شيخ الازهر الحالي فأرجع الامر كما كان

والنظام الجديد هو الذي ادخل في الازهر آداب اللغة كما ادخل غيره من العلوم الحديثة

المدارس

نخطيء كل الخطأ اذا اعتمدنا على المدارس في تقويم الالسنة واصلاح المنطق فان هذه المدارس لاتزيد على ان تلقن الطلاب شيئاً من قواعد النحو والصرف والبلاغة وليس ذلك بمغن عنا شيئاً وانما السبيل الواضحة الى مانريد هي تمرين الطلبة على الاصابة في القول والاعراب في النطق مع درسهم مادة اللغة وأساليبها واستظهارهم الكثير الجيد من آداب القدماء وقد سلكت مدرسة القضاء شيئاً من هذا في اول امرها فحظرت على الطلاب ان يتكلموا فيها الا باللغة الفصحى وقال الاستاذ الجليل عاطف بك بركات فيما كتبه عن المدرسة في سنتها الاولى انها اذا استمرت على السير في هذه الطريقة لم تلبث ان تصير قطعة من الحجاز في صدر الاسلام ولكن يظهر انها قد اخطأت الطريق وجرت مع غيرها من المدارس في مضمار واحد

نهضة اللغة في العصر الجديد

الصحف

ولقد نخطيء خطأ كبيراً اذا جحدنا فضل الصحف على اللغة فقد جاهدت في ترقية اللغة واصلاحها بما تخيرت من شريف الالفاظ والاساليب على انها لم تلبث ان التجأت كارهة الى ادخال كثير من الاعجمي فيها وكثيراً مايتعلق بالسجع وتتمسك باهداب البديع حتى صار كثير مما ينشر فيها نوعاً من الاوابد والالغاز على ان المجيدين من كتابها قليلون

الصحف الرسمية

يسوءني أيها السادة ان اقرأ في صدر الجريدة الرسمية الامر العالي يختم باسم مليك

مصر وأرى في المجموعة الرسمية حكم القاضي مصدراً بهذا الاسم الكريم ثم انظر في الفاظها فلا ارى من الفرق بينها وبين الفاظ العامة الا قليلا ويسوءني ايضاً ان اقرأ في الصحف الرسمية رسائل الحكومة وقراراتها ثم اقارن بينها وبين ما كان يصدر عن الحكومة العباسية والاموية من رسائل الصابئ وعبد الحميد فأرى الفرق بينهما كالبعد بين الارض والسماء ولئن حق الاعتذار عن الحكومة في الايام الماضية فاني لااجد ماأعتذر به عنها الآن فقد اصلح الاستاذ الامام رحمه الله جريدتها الرسمية وحلاها بكثير من الفصول النافعة ولكنه لم يكد يتركها حتى افتطع نصفها وعادت الى ما كانت فيه من سوء اللهجة وفساد العبارة

وانه ليحسن بالحكومة التي تعمل على اصلاح اللغة في البلاد ان تصلح لغتها قبل كل شيء حتى يثق الناس انها انما تعمل في ذلك بنية صادقة وعزم صحيح

الشعر

لم يكن للشعر العربي ان يرقى بعد فساد السليقة واعوجاج الالسنة لذلك انحط في الايام الماضية حتى كاد ينسى ولكنه الآن قد ارتقى بعض الشيء على انه لايزال منحطاً بالقياس الى الشعر العربي القديم والى رقي الانسان في هذا العصر وان كان بالقياس الى شعر القرن الماضي في ارقى الدرجات على ان العامة قد سلكوا في التعبير عن شعورهم مسلك الاسجال والاوزان البلدية وانقطعت العلاقة بينهم و بين الشعراء الذين اصطنعوا اللغة الفصحى كما قلت في اول المحاضرة

الخطابة

اما الخطابة فهي الآن قسمان احدهما خطابة المساجد وهي عبارة عن الفاظ فارغة قد ملئت بها كتب كثيرة يحفظها أئمة المساجد ويتلونها على الناس من غير ان يكون لها اثر محمود وأنا اترك لكم تقدير نكبة المنابر الاسلامية بهؤلاء الخطباء بعد أولئكم المصاقع المناطيق

ومن المضحكات ان القاعدة في صدر الاسلام هي اعتماد الخطباء على السيوف في البلاد التي فتحت عنوة وعلى العصي في البلاد التي افتتحت صلحاً فلما خلف هذا الخلف أصبح أئمتنا يعتمدون الآن على سيوف من الخشب على نحو من التقليد الممقوت

الثاني خطابة الأندية والجماعات سواء كانت سياسية أو علمية أو ادبية وهذا النوع كثيراً مايشتمل على المباحث المفيدة ولكن آداب الخطابة العربية قد تلاشيت فيه

واستبدلت منها آداب جديدة بين العامية والفرنجية وقد استباح الخطباء لانفسهم في الخطابة أشياء لم تكن مباحة من قبل بل كانت محظورة على الخطباء كالسعال وشرب الماء وغيرها أما لغة الخطابة فليست بتلكم اللغة الراقية وانما هي عامية في كثير من الاحيان وبما يخلط الخطيب بين اللحن والاعراب ومصدر ذلكم انه لم يحسن درس اللغة حين بدأ في تعلمها

طريقة الاصلاح

لاأعرف في اصلاح اللغة الا طرقاً ثلاثا قديمة غير جديدة اي انني لست مبتدعها بل قد سبقني اليها المصلحون الاولى نشر الآثار القديمة للعرب واحياء ماألفوه من كتب العلوم والآداب ليقرأها الناس فيحصلوا على نتيجتين لازمتين احداهما معرفة الاساليب العربية الصحيحة واستظهار الالفاظ التخيرة والوقوف على مبلغ ما كان للقوم من سعة المدارك والعقول — الثانية شعور القراء بفخامة ذلكم المجد الضائع والشرف المفقود شعوراً يدفعهم الى النهوض لاسترداده واعادة ما كان له من منزلة سامية ومكان رفيع ويلحق بهذه الطريقة ترجمة الكتب النافعة مما الفه الفرنج لتتسع بها العقول وترقى النفوس وقد جرى الاستاذ الامام رضي الله عنه في هذه الطريق شأواً بعيداً فالف جماعة احياء الكتب العربية التي نشرت المخصص وغيره من الكتب فلم يمت رحمه الله حتى نقض عقدها ولم يبق لها أثر في الوجود وقد قرأت للحكومة في السنة الماضية قراراً في هذا الموضوع بفضل أستاذي الجليل احمد زكي باشا ولكن مضى عليه العام ولم تظهر له نتيجة او أني لاخشى أن يكون قد لحق بامس الدابر — الثانية تأليف جماعة من أولي العلم باللغة والبصر بمادتها وأساليبها تقوم بما يحتاج اليه هذا العصر من تنمية المحدثات على احدى الطرق التي اشرت اليها آنفاً وهي الاشتقاق والمجاز والتعريب وتعمل على استبدال كثير من الالفاظ العامية بمرادفاتها من اللغة الفصحى وتشرف على اساليب الكتابة والشعر والخطابة فتذود عنها مايدخله عليها الواغلون من أدعياء الشعراء والكتاب وانما احتجنا الى هذه الجماعة الآن لما تعلمون من ان اللغة الفصحى قد اصبحت الآن صناعية فلن تبلغ مكانتها الاولى الا اذا وجدت لها من اهل العلم اطباء حاذقين يحسنون الطب لدائها والتلمس لدوائها وقد وجدت منذ سنين لشيء من هذا الغرض في نادي المعلمين فاستبشرنا ورجونا الخير واستقبلتها الصحف بالحمد والاغراق في الثناء ولكنها لم تلبث ان غطت في نوم عميق ولعلها الآن تحلم بحسن الظفر وتحقيق الآمال

الثالثة تعويد الاطفال من أول عهدهم الاصابة وتخير الجيد من القول على الطريقة الممكنة حتى يشبوا وقد قويت فيهم السليقة العربية فلم يحتاجوا الى القواعد الا من حيث انها نوع من الفلسفة اللغوية كما هو عملها الحقيقي ولست ارى اكفأ لهذا العمل ولا اقدر عليه من الاستاذ احمد افندي القطان في بستانها الصغير الذي خطبكم فيه منذ ايام فاذا استطاع هذا الاستاذ ان يعدني بانه سينشئ اللغة الفصحى في هذا البستان كما ينشئ الاخلاق والعقول فقد حق له عليّ الثناء الجميل وقد حق علينا جميعاً ان ننهض ونبذل مانستطيع لايجاد هذا البستان وامثاله وبهذه الطرق الثلاث التي فصلتها الآن تفصيلا نستطيع ان نضمن للغة استرداد مجدها القديم

طه حسين

الاشتيام او الاستيام

والمثلمطة اوالمتملطة

أ معنى الاشتيام (بالشين وبالسين) عَلَى ماأثبته اللغويون وصحة ورود اللفظة بلغتين وجمعها

مامعنى الاشتيام بالشين المثلثة النقط والاستيام بالسين المهملة ؟ هذه اللفظة لم ترد في محيط المحيط لافي مادة ش ت م ولا في مادة س ت م بل ولا في ا ش ت م او اس ت م وقد وردت في ذيل اقرب الموارد نقلاً عن اللسان قال في مادة ش ت م: «الاشتيام بالكسر: رئيس الركاب (اللسان) ولم يزد عَلَى هذا القدر . واما اصحاب الصحاح والمصباح والاساس والقاموس والاوقيانوس والبابوس ومطلع النيرين وابن الاثير والسيوطي وغيرهم فلم يتعرضوا لها . وقد ذكرها السيد المرتضى في مستدركه مادة ش ت م اذ قال: الاشتيام: رئيس الركاب . عن ابن برّي . » ولم يفدنا عن اصلها ولم يذكر شرحها اكثر من هذا القدر . واما الافرنج من علماء اللغة العربية فلم يذكروها وقد نسيها غوليوس وفريتاغ وقزميرسكي ودوزي . وقد ذكرها «لين» في معجمه مد القاموس قال: الاشتيام بالكسر (والظاهر من قوله (اي من قول صاحب تاج العروس) بالكسر اي ان يقال الاشتيام) هو رئيس الركاب عَلَى مافسره ابن برّي . (والظاهر

من قوله : رئيس الركاب هو رئيس الركب اي ركبان الخيل (كذا) لكن من اين اتت هذه اللفظة . ذلك مالا أعلمه . اللهم الا ان تكون معربة عن الفارسية « استايام إن وجد عند الفرس مثل هذا اللفظ . ومعناها رئيس خيل البريد » . اه قلت : هذا كله كلام لين اللغوي الانكليزي العارف باصول العربية الا قولي : (اي من قول صاحب تاج العروس) وقولي : (كذا) فهي مني زدتها نقتاً للنظر . وهو في كلامه هذا بعيد بعد الثريا عن الثرى . ولعل البعض يرميني بسوء النقل او الترجمة فها انذا اورد هنا كلامه بنصه وحرفه الانكليزي . قال :

With kesr, (which seems to indicate that it is الاشتيام expl.by T.B. as meaning رئيس الركاب (app. the headman, or master, of the riders: but whence this is derived I know not, unless it be arabicized from the Pers أستايام (if there be such an appellation), meaning »the master of the post-horse.«)
« T A »

وليس هذا الغلط هو اول غلط وقع في هاويته هـذا اللغوي الانكليزي ولا هو الاخير في معجمه من الاغلاط لو تجسمت لقامت بين يديك كالجبال الشامخة . وليس هنا موطن ذكرها . هذا فضلاً عن انه فاته الفاظ ومواد كثيرة جاءت في القاموس او تاج العروس بل في اصغر معاجم اللغة ودواوينها وهي لاتوجد فيه ولا ذكر لها او لمادتها او اصلها في ديوانه .

قلت : والمراد من كلام ابن بري : « رئيس الركاب » هم ركاب السفينة لاغير كما يتضح تبيانه في مابلي من الكلام وايراد النصوص وكما يظهر معناه لاول وهلة . واما الاستيام بالسين فقد وردت في تاج العروس . قال في لسان العرب مصحح طبعه في هامش مادة م ل ط : « قوله » والمتملطة الخ كذا بالاصل هنا (اي الاشتيام بالشين) وشرح القاموس قال : وسيأتي في ل م ظ وقد ذكر الاستيام هناك بالسين المهملة وعزاه للتكملة . وحرر كتبه مصححه . » اه . قلت انا : والاستيام وردت في كثير من نسخ كتب التاريخ كمؤلفات الطبري والمقدسي لابل وقد قال الجواليقي (Morgenl. Forshungen 154) ان اللفظ الفصيح الصحيح هو الاستيام بالسين وشرحها

هنالك يعني : « صاحب المتاع » مع ان الكاتب نفسه ذكرها في كتابه « المعرب » بالشين وان وردت في بعض نسخ كتابه القديمة بالسين اذ يقول التيبجي والجمع السياحة : قوم من السند يكونون مع اشتيام السفينة البحرية وهو رأس الملاحين اهـ. ولم يذكرها الخفاجي في كتابه شفاء الغليل .

والظاهر ان لغتها بالسين أي الاستيام افصح من الاشتيام بالشين المعجمة . لان بعض اهل الجزائر يقولون الى عهدنا هذا : « ستم السفينة » أوقفها في المرسى او ارساها هنيهة من الزمان . وقد تلقى دوزي هذه الكلمة من الكتب ورآها هناك مكتوبة بالميم المعتمدة لا بالميم الطويلة والميم المعتمدة تشبه الراء اي انه رآها مخطوطة : « ستر » فقرأها « ستر » واثبتها في معجمه ستر قال : معناها relâcher dans un port اي ستر (وهو لم يضبطها الا انه وضع بجانبها الرقم الرومائي الدلالة على انها من الوزن الاول من الرباعي اي ستر وعزاها في الآخر الى Roland اي نقلاً عنه . فانظر الى هذا النقل والى هذا الاستاذ . وقد وقع مثل هذا الغلط المتولد من سوء قراءة الميم لطابع كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني وهو العلامة ذي خوي في الصحفة ٩ قال : « فيه (اي في البحر) سمكة يقال لها الاطمر (هكذا وردت مضبوطة بالوجهين اي على وزن وقفل وزبرج) وما هي الا كلمة « اطم » كتبت ميمها الاخيرة ممدودة بشكل راء اي هكذا « اطمر » فظنها القارئ او الناسخ والطابع او من تشاء ان تسميه ميّاً وراء » فصارت « اطمر » ونفس كلمة اطم مصحفة عن اطوم . فانظر الى هذه اللفظة التي تطورت اطواراً بيد الكتاب وقالوا فيها ايضاً لطوم . وتلوم ولطر . ولطلوم ولطيم » وغير هذه التصحيفات الى ماشاءت اهواء النساخ والقراء .

وممن ذكر الاستيام بالسين الجملة غير الصاغاني في التكملة التاج في ملط ومعجم اللسان في ملط ايضاً والجواليقي وهو ابو القاسم في كلامه عن لغة الملاحين .

ولما جمع اللفظة فلم يردفي كتب اللغة الا انه ورد مكسراً وصحيحاً في كتب المؤرخين واصحاب وصف البلدان . فقد جاءت اللفظة مكسرة في كتاب المقدسي المسمى باحسن التقاسيم ص ١٠ قال « وصاحبت مشايخ فيه ولهوا (اي في المحيط الهندي) وتشأموا من ربابنين واشايخ » او في رواية واسله (هكذا مكتوبة بدون نقط) وقد جاءت مجموعة جمعاً سالماً في تاريخ الطبري في عدة مواطن . منها في قوله : « حتى اذا استمرت الحرب امر الجداوين والاشتيامين ان يحثوا السير ... » ومنها في قوله الآخر : « فصكت

الشذوات بعضها بعضاً حتى لم يكن للاستيامين والجدافين فيها حيلة ولا عمل . فاحفظ الجمعين تصب ان شاء الله تعالى

٢ معنى اللفظة على التحقيق

قد مر بك ان لغويي العرب قالوا في معنى الاشتيام والاستيام: رئيس الركاب او الملاحين ولم يخرجوا عن حيز هذا المعنى . الا ان المعنى الاصلي كان لرئيس الملاحين او لرئيس السفن البحرية الذي بيده الامر والنهي وكل مايتعلق بسير السفينة وايقافها الى غير ذلك . ويتحصل هذا المعنى من كتاب تاريخ الطبري . قال في حوادث سنة ٢٥١ هـ = ٨٦٥م ما نصه : وخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج . في كل سفينة اشتيام وثالثه نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة » ومن هذا النص يؤخذ ان الاشتيام (وفي نسخة الاستيام) هو كبير البارجة البحرية الحربية ويقابله بالفرنسية Commandant d'unnavire de guerre .

وقال في حوادث سنة ٢٦٥ هـ = ٨٧٨ م : واستخلف (الجبائي) على الشذوات الاشتيام الذي يقال له الزنجي بن مهربان «فهنا المراد بالاشتيام امير الشذوات كلها (وهي ضرب من السفن البحرية والنهرية التي تتخذ في الحروب) فيكون معناها بالفرنساوية Amiral

وذكر في حوادث ٢٦٧ هـ = ٨٨٠ م . محمد بن شعيب الاشتيام والمراد به رئيس المراكب البحرية الحربية لانه يقول بعد ذلك : خرج الجبائي وسليمان في الشذوات والسميريات وقد كان ابو العباس احسن تعبئة اصحابه فأمر نصيراً المعروف بابن حمزة ان يبرز للقوم في شذواته ، ونزل ابو العباس عن فرس كان ركبه ودعا بشذاة من شذواته قد كان سماها الغزال وامر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذافين لهذه الشذاة وركبها الى آخر الرواية مما يدل على ان محمداً هذا كان تحت امرته عدة شذوات وسميريات .

ومما يزيدنا ثباتاً في هذا الرأي كلام ابن صاحب الصلاة اذ يقول : « ثقلد الحكم عليها (السفينة) اشتيام ذو تيقظ واستبصار » وعليه فكلمة الاشتيام تدل على مايقابله بالفرنسية

NAVARQUE, CAPITAINE, COMMANDANT, PATRON DE NAVIRE; COMMANDANT EUVAISSEAU OU DE LA FLOTE; AMIRAL.

هذا هو المعنى الاصلي عَلَى التحقيق في عهد العباسيين . لكن لما انقطع العهد بالمحاربة عَلَى الشذوات والسميريات و بقي القوم يركبون السفن المذكورة لغاية التجارة او السفر اصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً وله محل خاص كما في السابق لايجلس فيه غيره وسموا هذا المقعد « المتلمظة او المتملطة » كما سيجيء ذكرها . ولا يمكن ان يتصور الواحد ان يكون مقعد خصوصي لغير كبير السفينة . مثلاً ان يكون لخازن امتعتها او لخازن أطعمتها كما تخيله بعضهم فالمقعد الخاص هو للرجل الممتاز بين الجماعة والمتقدم فيهم لاغير .

٣ الاشتيام والاستيام من اصل يوناني لامن اصل فارسي او إرمي

قد مرّ بك ان « لين » الملامة الانكليزي قال ان اصل اللفظة من الفارسية وهي فيها أستايام » اي رئيس خيل البريد والحال هذه اللفظة غير موجودة في امة الفرس لابالمعنى الذي ذكره «لين» ولا بمعنى آخر .

واما العرب فقد رأيت انهم لم يشيروا الى تجمة اللفظة وكل مرة ذكروها اعتبروها كأنها عربية محضة مع انه لامناسبة بينها و بين مادة ش ت م او س ت م . وعليه فمن المحال ان تكون عربية المنبت .

بقي علينا ان نقول اما انها من اصل إرمي واما من أصل يوناني . وقد ذهب المستشرقون الى انها من اصل إرمي فقد قال فرنكل وذي خوي و پاين سمث ولاوي و بكسترف وكل من تلا تلوهم انها من « إشتياما » اي الاشتيام مبنى ومعنى وفسروها بالختم اي الذي يضع الختم عَلَى الشيء بعد ان يسده او يغلقه . وقالوا ان معناها كما ذكره پاين سمث « صاحب المتاع المحمول في السفينة » اي يقابلها بالفرنسيه Suprécargue وهي مشتقة من ش ت م : س ت م الارمية اي سد وختم وصدم وسطم

قلت : اني لا أنكر كون اللفظة جاءت ايضاً بمعنى صاحب الامتعة المحمولة في السفينة . إلا ان هذا المعنى فرعي واقدم معنى وصل الينا هو المعنى الاول : اي رئيس الملاحين الموجودين في سفينة واحدة وفي عدة سفن بحرية كانت او نهرية . حربية او تجارية ثم ان فعل شتم او ستم الارمي لم يرد إلا قليلاً ولم يأت في كتب الارمنيين بالمعنى المذكور فالذي جاء في معجم ابن بهلول في معنى « اشتياما » : هو صاحب المتاع المحمول في السفينة كما نقله عنه پاين سمث . ولم يذكر الفعل « شتم او ستم الارمي . وجاء في

كتاب دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ٤٤ اشتياما : صاحب وسق السفينة ايضاً : خليفة تاجر الصحراء ووكيله يحمل له الاثمار الى الاهراء لوقت الغلاء باجرة معلومة اهـ. ولم يذكر كلمة الاشتيام العربية كما لم يذكر في كتابه الفعل شتم او ستم . مع ان هذا الفعل قريب الى العربية وهو فيها سدم الباب وسطمه بمعنى سده . وفسر الاب برون اليسوعي « اشتياما » بما معناه : السادّ او السادم ومنه : واضع الامتعة في مكان مغلق ولا سيما أمتعة السفينة وعندي ان الاشتيام اذا كانت مأخوذة من الارمية فالارمية غير مشتقة من فعل شتم او ستم » بل من اليونانية ISTAMENOS وهو اسم فاعل من فعل ISTEEMI اي أوقف وأرسى وهذه تقال عن السفينة كما تقال تلك عن الرجل بل عن كل شيء . ومنه الفعل العربي المعروف عند اهل الجزائر أي « ستم » بمعنى اوقف السفينة اوأرساها . ولهذا السبب ايضاً قال الجواليقي ان الاستيام افصح من الاشتيام . كما ان الاستيام وردت في التكملة ولم ترد فيها الاشتيام . فالسين فيها تبعاً للاصل اليوناني والشين لغة فيها . وكثيراً مايقلب العرب السين المهملة شيناً ولاسيما اذا جاورت التاء كما يفعل الالمانيون في لغتهم . فقد جاء في العربية : جاحشته في جاحسته : اذا زاحمته . (عن ابن السكيت) وشمرت السفينة وسمرتها : اذا أرسلتها . (وهنا السين لم تجاور التاء) وقالوا : انتسف لونه وانتشف بمعنى واحد (عن امالي تغلب) الى غير ذلك . واللفظة اليونانية توافق كل الموافقة لمعنى الاشتيام لان برئيس المركب او المراكب يناط ايقافها واجراؤها وتدبير امرها كما يتضح لادنى تأمل .

٤ المتلمظة او المتملطة والسلوقية

لو كان معنى الاشتيام في الاصل « صاحب الامتعة المحمولة في السفينة » لما افردوا له محلا خاصاً به كما بينا ذلك قبيل هذا . لان مثل هذا الرجل يجلس على امتعته او بجانبها لافي موطن ينفرد فيه . والحال اننا نعلم ان للاشتيام موطناً خاصاً به ومقعداً يقعد فيه هو ولا يقعد فيه غيره يسمونه المتلمظة » قال في تاج العروس في ل م ظ : « الملمظة (وهو لم يضبطها لابالقلم ولا بالنص) مقعد الاستيام (هكذا بالسين المهملة) وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة . وسبق مثل ذلك في م ل ط (اي المتملطة بتقديم الميم على اللام) ولا أدري ايها اصح . اه كلام التاج . وما بين هلالين هو من كلامنا . قلت : الاصل هو المتلمظة بتقديم اللام على الميم وهي مشتقة من تلمظ الحية « يقال : تلمظت الحية : اذا أخرجت لسانها . لان الاشتيام يكون في مكان عال يشرف

منه على البحر لينظر الى يمينه ويساره والى امامه ووراءه متلفتاً تلفت لسان الحية ليتمكن من تسيير سفينته وحفظها من الخطر واجرائها في محل امين . كما هو معلوم عن امر الاشائمة في يومنا هذا . ويفردون له محلاً خاصاً لكي لا يلهو باحاديث الناس او بما يحدث حواليه فينصرف ذهنه الى مالا يهمه ويقابله بالفرنسوية

Place du commandant ou du capitaine, passerelle, siège dans un navire réservé au commandant ou à l'amiral.

واللسان لم يذكرها في (ل م ظ) إلا انه ذكرها في مادة ربع قال في الصفحة ٤٥٦ في السطر ١٧ : والمتلمظة (وقد ضبطها بضم الميم وفتح التاء واللام وكسر الميم المشددة والظاء المنقوطة المفتوحة وبهاء في الآخر) مقعد الاشتيام وهو رئيس الركاب . اما صاحب التاج فقد ذكرها في كلتا المادتين (م ل ط) و(ل م ظ) وقد ذكرها اللسان ايضاً في م ل ط قال المتملطة (ولم يضبط حركة اللام المشددة) : مقعد الاشتيام . والاشتيام : رئيس الركاب اه . قلت : والمتملطة تصحيف المتلمظة ولم يذكر هاتين اللفظتين لا القاموس ولا محيط المحيط ولا اقرب الموارد ولا مد القاموس تأليف « لين » ولا دوزي ولا الجوهري ولا الفيومي ولا صاحب البا وس ولا صاحب الاوقيانوس ولا سائر المعاجم الافرنجية كغوليوس وفريتاغ وقزميرسكي . فياله من إغفال وقع فيه اغلب اللغويين

هذا وانت ترى مما تقدم ان العربية تحتاج الى معاجم تجمع جميع الالفاظ العربية المذكورة في دواوين اللغة الواردة في محلها او في غير مظنتها . وان يثبت فيها المعاني على اختلاف ماوردت في الاعصار ليكون ذلك المعجم مورداً يلتبه اللغوي كلما احتاج اليه ويجد فيه كل مايحتاج اليه . إذ قد رأيت مما مر بك من الالفاظ معاني ومباني لم تكن تظن انها وجدت عند العرب لانهم لم يكونوا من المشهورين بالملاحة والبحارة . ومع ذلك فقد تحققت وجود الفاظ لاتجد لها حرفاً واحداً مقابلاً لها في لغة الاعاجم الحالين مع تبحرهم في المدنية والعمران ومع تبسطهم في وضع الالفاظ لادنى اختلاف في معنى المرادف او لادنى تفاوت في معناه . فياليتها من لغة جمعت فاوعت ومدت سماطاً فأشبعت . وان نسب اليها القصور بعض المتهوسين للغات الاجنبية وبهذا القدر كفاية للمتبصر .

ومثل المتلمظة : السلوقية: قال ابن عباد في كتابه المحيط ونقل نصه الصاغاني في العباب واورده ايضاً الفيروز ابادي في القاموس : السلوقية : مقعد الربان من السفينة اه ولم يزيدوا على هذا القدر ولم يذكروا اصل اللفظة وعندي انها آرامية الاصل من فعل « سلق » الذي اسم مصدره « سلاقا » ومعناه الارتفاع والعلو . لان الربان يكون في اعلى موضع من سفينته ليرقب ماحواليه من متسع البحر ويقابله بالفرنسوية ***DUNETTE*** وهي مشتقة من ***DUNE*** بل هي مصغرها ومعناها الكثيب تصغير كثيب وهو تل الرمل كأن السلوقية تكون بعلو الكثيب ليشرف منها الربان على البحر

(الخلاصة) يتحصل مما تقدم ذكره وشرحه ان الاشتيام او الاستيام من باب الاطلاق والتغليب هو ***AMIRAL D'UNE FLOTTE, COMMANDANT D'UN NAVIRE*** واذا اريد به رئيس الملاحين فهو ***MAITRE D'ÉQUIPAGE*** وان جاء بمعنى رئيس الركاب فهو ***COMMISSAIRE DE MARINE*** وان عنيت به صاحب الامتعة فهو ناظر الامتعة اي ***SUBRÉCARGUE*** واما المتلمظة والمتملطة فهو مقعد الاشتيام اي مقعد الذي يقوم باجراء السفينة في نوبته لان الاشاتمة يتناوبون في تدبير امر السفينة و يقابله بالفرنسوية ***BANC DE QUART*** واما السلوقية فهو ارفع مكان يكون في السفينة و يكون مقعداً للربان وهو ***DUNTTE*** بالفرنسوية

فقد جاء عندهم في شرحهم هذه اللفظة مامعناه : هي مابني بناية خفيفة فوق الجسر الاعلى من مؤخر السفينة وهو عبارة عن نحو ربع طول المركب و يعلو نحواً من مترين و يشرف على شز المؤخر كما تشرف المنظرة على ساحة المدينة . و يكون عليه الاشتيام عند قيامه بوظيفته . لانه يتمكن من ذلك الموضع من ان يرقب ماحواليه في البحر . » اه

بغداد : سائسنا

استرداد المجرمين

في البلاد الاجنبية

لامراء في ان الرادع لكثيرين من المخلوقات عن ارتكاب المنكرات الشخصية والاجتماعية والسياسية هو الخوف من العقوبة لا الخوف من الضمير . ولذلك نرى من لاخلاق لم يرتكبون افضح المنكرات اذا وجدوا للفرار والخلاص من وجه القانون سبيلاً

لاترجع الانفس عن غيها مالم يكن منهـا لها زاجر

والخلاص من احكام القانون يكون بوجوه كثيرة منها (١) الرشوة (٢) شهود الزور (٣) اغضاء المأمورين لاجل تطبيق قاعدة ادارة المصلحة (٤) بلاهة بعض الحكام (الحاكم مأمور العدلية فقط) . والدواء الوحيد لهذا الداء القتال تعميم العلم وتهذيب الاخلاق وتعريف الانسان معنى الانسانية . اي انه خلق ليخدم ابناء قومه لا ليأكل ويشرب ويتانق وينام كبهيمة الانعام اذ لاضرر من الانعام ان لم يتحرش المرء بها، واما هؤلاء فانهم يمقتون من كان ذا مزية سواء وافقت اهواءهم او لم توافق . لان جل مرامهم محق الحق والعدل والفضيلة ليس الا . واقوى سلاح يتخذونه هو الكذب والافتراء وغاب عنهم ان حبل الافتراء قصير .

(٥) فرار المجرم من بلاد دولة الى بلاد اخرى . وهذا موضوع بحثنا هنا .

لايحق لدولة من الدول ان تكره مأموري دولة أخرى على تطبيق احكام قوانينها مطلقاً . لان حق القضاء محدود داخل المملكة ولا مساغ لتعديه حدود غيرها . فعدّ من لاخلاق لم من ارباب القلوب الصلبة والضمائر الميتة هذه القاعدة نعمة كبرى واخذوا يفرون الى الممالك الاجنبية ليتخلصوا من الجزاء وهكذا كان .

بيد ان هنا مضرات عديدة اجتماعية لفتت نظر رجال الدول فطفقوا يفكرون بتدبير مؤثر يمنع هذا الفرار لاجل استعادة المجرمين . لماذا ؟

لاشك ان المجرم اذا ترك بلا جزاء يكون سبباً داعياً لكثرة الجرائم واختلال الامن العام مما ثبت تاريخياً فانه من اعدى الامراض وانه سريع الانتقال من مملكة الى اخرى . وهذا هو السر الذي يدعو الدولة ان تطلب المجرم الفار من بلادها

على انه من المجرب اذا حل مريض بين اصحاء امرضهم اوفاسد بين ادباء افسدهم فخوفاً من هذا شعرت الدول التي يلتجئ اليها احد الفارين بلزوم طرد هذا المجرم الفار من وجه العدل او تسليمه على الاقل لكي تطهر بلادها منه

ولهذه الاسباب نرى الدول في عهدنا تتهافت وايـ تهافت لعقد المعاهدات التي تؤدي الى استرداد المجرمين الفارين . واليك القواعد العلمية :

لايجوز طلب استرداد المجرم الا اذا كان للدولة الطالبة اي التي وقع الجرم في بلادها حق القضاء على المجرم الفار . ولما كان حق القضاء محصوراً داخل الحدود الملكية اراني مضطراً لبيان هذه الحدود ومحل تطبيق هذه السلطة ولهذا يجب قبل كل شيء تعريف اقسام ممالك الدول

١ — البلاد الواقعة ضمن الحدود الجغرافية

٢ — البحور الداخلية اي التي تحاط بممالك خاضعة لدولة واحدة والانهر والمضايق البحرية والترع

٣ — المياه الساحلية اي ما يبعد عن الساحل ثلاثة اميال من البحر (الميل ١٨٥٢ متراً) او الى وصول مرمى احسن مدفع . وهذا يعد من بلاد الدولة المجاورة وما عداه فهو عام

٤ — البلاد المحتلة عسكرياً سواء كان بحال الصلح او بحال الحرب

٥ — السفن التجارية وسفن النزه

فحق القضاء يشمل كل جرم وقع في هذه الاقسام المصرح بها اعلاه . ويحق لكل دولة طلب المجرم لمجازاته اذا ارتكب جرماً بها وفر الى البلاد الاجنبية . وهذه مسألة من مسائل حقوق الدول تحل بواسطة السفراء ونظارات الخارجية وفقاً للمعاهدات او العرف والعادة .

تستلزم الجنايات عامة وبعض الجنح المهمة الرد واما مرتكبو القبائح فلا يطلبون ولا يردون

القاعدة العلمية في اعادة المجرمين — . ان يكون الجرم محظوراً بقانون كلتا الدولتين اي الفار منها والملتجأ اليها . مثلاً : تعدد الزوجات ممنوع عند الدولة الفرنساوية ومباح عند الدولة العثمانية . وعليه يعد جرماً بفرنسا ومندوباً بالمملكة العثمانية . فاذا فر فرنساوي والتجأ بالدولة العثمانية لارتكابه هذا الجرم هل يجوز تسليمه ؟

لايجوز قطعاً لان الشرط ان يكون ممنوعاً عند الدولتين . اما لو كان جرم جرم سرقة وجبت اعادته على شرط ان يكون بين الدولتين معاهدة او تعامل

اما الالتجأ احد قرصان البحر الى بلاد سويسرا وكان هذا فرنسوياً (من قبيل الاقتراض فهل يحق لسويسرا ان تمتنع عن تسليمه بحجة ان لا صراحة في قوانينها لهذه المسألة؟ كلا : لان عدم الصراحة في قانون سويسرا لم ينجم عن اقتراضها القرصانية امراً مشروعاً بل من عدم وجود سبب لدرج امثال هذا القيد بقوانينها وذلك لفقدان السواحل عندها هذه هي القاعدة العلمية بخصوص اعادة المجرم فلنبحث الآن عن مستثنياتها .

ان لهذه القاعدة استثنائين احدهما يتعلق بالجرم والآخر بالمجرم . فالذي يتعلق بالشخص هو كون الملتجئ من تبعة الدولة الملتجأ اليها . فلو ان المانياً مثلاً ارتكب جرماً في فرنسا ففر منها واتى المانيا فلها الحق بان تمتنع عن تسليمه . وهذه قاعدة كلية سارية بين جميع الدول . اذ كيف يقبل قوم بخضوع فرد منهم لقانون قوم آخر ؟

واما الاستثناء الذي يتعلق بالجرم فهو ان يكون الجرم عسكرياً أو سياسياً فارباب هذه الجرائم ايضاً لاتعاد بتة

وسبب ذلك ان الدولة لاتقبل الجندي الفار ولو أعيد لانها لاتؤمل منه خيراً بل تعده كالغصن الفاسد فتقطعه من شجرتها وتلقي به على الارض خوفاً من ان يفسد مجاوريه . الا اذا كان ضابطاً في سفينة ونزل الى البر وامتنع من الرجوع اليها . فيعاد خوفاً من تعطيل السفينة

واما سبب عدم اعادة ارباب الجرائم السياسية فهو سر غامض وامر مهم . لان التاريخ يدل على ان اكثر الفارين من هذا القبيل كانوا على حق وان سبب اضطهادهم وفرارهم لم يكن الا من علو افكارهم التي تعجز حوصلة العامة او رجال الامر والنهي عن ادراكها فيعدونه مخطئاً فيضطهدونه ويحكمون عليه حكماً جائراً ويختقون فكرته . فلاجل الاستفادة من افكاره في الحال والمستقبل لاتجوز اعادته بل انهم يجلونه ويكرمونه .

وهناك شرط آخر للاستعادة وهو عدم سقوط الجرم بمرور الزمان [1] القانوني على حسب قوانين الدولتين .

(١) يسقط الجرم بالجنايات بعد عشرين سنة . وبالجنح بعد خمس سنوات وبالقباحات بعد سنتين هذا بعد الحكم اما قبل الحكم فيسقط الجرم بالجنايات بعد عشر سنين وبالجنح بعد ثلاث سنوات وبالقباحات بعد سنة واحدة

قد يمكن ان يطلب المجرم من قبل دول متعددة في آن واحد فالواجب حينئذ تسليمه الى الدولة التي وقع الجرم في بلادها . فاذا ارتكب المانى مثلاً جرماً في فرنسا وهرب الى بلجيكا وطلب من الدولتين في آن واحد ، يجب تسليمه لفرنسا لا لدولة المانيا . اما لو ارتكب جرماً في المانيا دولته وفي فرنسا يسلم لدولته المانيا . وان كانت جرائمه عديدة وفي بلاد مختلفة وطلبته كلهن بآن واحد ينظر : اي الجرائم اشد فيسلم الى الدولة التي وقع فيها ذلك الجرم الشديد . وان كانت درجة الجرائم متساوية يسلم للتي تطلبه اولاً . اما اذا وجد بين دولة معاهدة فيسلم لربة المعاهدة دون ان يلتفت لاحد غيرها .

والخلاصة فان معاهدات اعادة المجرمين تبحث دائماً في مسائل اربع :

١ — لا تعيد دولة من الدول ملتجئاً اليها اذا كان من تبعتها .

٢ — ارباب الجرائم السياسية لا يعادون

٣ — ان يكون الجرم ممنوعاً بقانون الدولتين

٤ — ان لا يحاكم الا من اجل الجرم الذي كان سبباً لفراره بغض النظر عما عداه .

ولا يذهلن عن نظرك ايها القارئ الكريم ان اعادة المجرمين ليست امراً محتماً . فان كانت الدولتان متعاهدتين فالاعادة ضرورية والا فلا .

ومن الاسف ان الدولة العثمانية لم تتعاهد بهذا الباب مع احدى الدول بتاتاً وقد مضى ردح من الزمن والدولة العثمانية تعيد لروسيا من يفر من بلادها ولا يبقي طرابزون وارض روم كما ان روسيا ايضاً كانت تعيد من يفر من العثمانيين الى قفقاسيا . الا ان هذا الوفاق لم يدم كثيراً .

وكان قد تقرر مع دولة الصرب اعادة مجرمي الطرفين موقتاً ريثما تعقد معاهدة بين الدولتين . وبعد ان اعيد كثير من الجهتين فسخ هذا التعهد الشفاهي لامتناع حكومة الصرب عن الاعادة

واما المعاهدة التي عقدت في ايام عارف باشا مع حكومة اميركا فلم توضع موضع الاجراء قط .

واما الآن فمن المقرر عقد معاهدة مع دولة اليونان حسبما يقتضيه الجوار ولاحتياج الطرفين لها .

واغرب مايتصور ان الادارة السابقة كانت تعيد كل مجرم التجأ اليها دون مقابل

ولا معاهدة حتى ان المجرم العثماني المحكوم بخمس عشرة سنه كان يفر الى بلاد النمسا وبعد فوات الزمن يعود فرحاً فخوراً . اما المجرم النمساوي فكان يعاد بمجرد وصوله الى بلاد الدولة العثمانية . وما سبب هذه المسامحة والغفلة السياسية الا الخوف من تكدير جو الرفاهية على زعمهم كأنه من الممكن اجتماع الشرف والتغافل السياسي !

نابلس حسني عبد الهادي

الجنسية

تأليف ماكس نوردو العالم الاسرائيلي الشهير نقلها الى العربية . م ع ج

كلمة للمعرب

كل مطلع على مجرى الافكار العصرية في الغرب يرى مسألة الجنسيات او القوميات الشغل الشاغل لكبار الساسة واعاظم الكتبة وفحول العلماء ويكفي المرء ان يتصفح بعض الجرائد والمجلات الاوربية ليرى فيها ذكراً لهذه المعضلة الكبرى ووسائل كثيرة لحلها . وقد لقب الكتاب والمؤلفون عصرنا هذا « بعصر الجنسيات » لكثرة ماحدث ويحدث في ايامنا هذه من الجدال والمناقشة بشأنها حتى تعدت الى المشاكل والمشاحنات وكادت تجر الى الحروب . فهي اذن مشكلة اليوم وكارثة الغد . لذلك رأيت من اللازم اطلاع بني قومي على مجمل ماوصلت اليه الآراء بخصوصها فلم اجد بحثاً ادق واتم من رسالة وضعها بالالمانية العالم الاجتماعي الشهير « ماكس نوردو » وصف بها هذه المسألة في جميع ادوارها وابدى من آرائه فيها ماهو جدير بالاهتمام فبادرت الى نقلها للعربية علها تفيدنا ولو بعض الافادة في احوالنا الحاضرة .

وماكس نوردو هو احد علماء العصر المشار اليهم بالبنان ، اسرائيلي الاصل المانيّ المنشإ اشتهر بمؤلفاته العديدة ورسائله الجمة التي امتاز فيها بالجد والدقة في البحث وبعد النظر والصراحة . منها كتابه « معنى التاريخ » الذي احدث ضجة كبرى عند ظهوره وقد انحى فيه على الحقائق التاريخية والمؤرخين ! و(السقوط البشري) وهو مجموع ابحاث فلسفية اجتماعية عصرية مثل : (الفلسفة الروحية) و (مذهب الاثنين) و (آخر القرن) و (القرن العشرين) ومنها كتابه المسمى (اكاذيب مدنيتنا المتفق عليها) و (مناقضات الاجتماع) و (مناقضات علم النفس) ومن امهات كتبه العلمية (روح

ماهو اساس الجنسية ، وما هي علامتها الفارقة ؟ لقد كثر البحث في هذه المسألة واختلفت فيها الآراء . فقال بعضهم بالجنس بعني الاصل الفطري . والخطأ في هذا القول محسوس بحيث يوجب الانفة من الرد عليه . انا لا أعتقد بوجود الجنس البشري وانما الشعوب المختلفة أنواع ثانوية لجنسنا ، والاختلافات الشكلية واللونية لم تنشأ عن تغير الجنس الواحد بسبب تأثيرات الاقليم بل منشأوها الحقيقي تعدد الجنس . يظهر لي ان التيب بين الابيض والحبشي أو بين الپاپو [1] والهندي ليس أعظم من النسب بين الفيل الافريقي والفيل الهندي أو بين الثور وبين الجاموس الاميركي . ولكننا قلما نجد في جنس واحد كالابيض مثلاً من الاختلافات المهمة مايسمح لنا بوضع ميزة فارقة وحدود بين أشكال الجنسيات المتنوعة . يوجد في كل شعب ابيض أفراد ذوو قامات كبيرة او صغيرة وشعور زاهية أو قاتمة وعيون زرقاء او سوداء وهامات مستطيلة أو عريضة وامزجة باردة او حادة وبينا نرى بعض هذه الصفات متغلباً في شعب وغير متغلب في شعب آخر لانجد في الصفات الطبيعية او العقلية أقل معنى في تمييز الفرد ونسبته الى محدود مثلما نجد في البشرة السوداء وشكل الوجه وتجعد الشعر من تمييز الحبشي ونسبته لجنس محدود

ان جميع التجارب التي جرت لايجاد (شكل متوسط) خاص لكل شعب لم تجد اقل فائدة عملية . ولقد تكون قراءة اوصاف هذا « الشكل المتوسط » لذيذة تهيج فينا عاطفة « حب الذات » لكنها في الواقع لم تخرج عن حد التخيل . على ان خطوط ذلك الشكل لو كانت غير خيالية ليست سوى رسوم ظاهرية في المرء — لاصلة بينها وبين حياته الداخلية — طبعت على بشرته ويمكن ان تمحى عنها متى تقدم في العمر ، انها لاترسم عليه اذا نقل وهو طفل الى بيئة غير التي ولد فيها وعرض لتأثيرات جنسية غريبة . ان (شاميسو [2]) مؤلف كتاب « بطرس شليمهل » أو « الانسان الذي اضاع ظله » كان غلاماً متأدباً ايام لم يكن يعرف من الالمانية حرفاً فاصبح بعد ذلك شاعراً المانياً يضاهي اكبر شعراء الالمان الذين يزعمون ان دم الجرمان القدماء (ضيوف

(١) (الپاپو) أحياش اوسيانيون يقطنون غينيا الجديدة وبريطانيا الجديدة وارخبيل سليمان وجزائر هبريد من قارة اوستراليا .

(٢) اديب وعالم طبيعي من أصل افرنسي نشأ في المانيا ونبغ فيها حتى اصبح يعد من فحول ادبائها وعلمائها العظام (١٨٣٨ — ١٧٨١)

تاسيت [١]) يجري في عروقهم والمؤرخ (ميشليه [٢]) ولا اعني ذاك الافرنسي المتحمس بل الفيلسوف (الالماني) بما ظهر عليه من الصفات العقلية التي عدها « علماء الانسان » من مميزات الجرمان : كالحصافة ، والجد الادبي ، حتى التعقيد في الانشاء ! والمفكر « جول دوبوك » العريق في افرنسيته — كان أبواه يفتخران بدمهما الافرنسي الخالص — وهو الذي اشتهر بكتاباته بالطريقة « الأيديالستيه [٣] » الالمانية خاصة ، و « دوبوار يموند [٤] » الافرنسي الذي اصبح المثل الاعلى للعالم الالماني ، اما « تيودور كوتنان » فانه لم يكن المانياً فقط بل « المانياً شمالياً » بتأملاته الطبيعية وتحليله للنفوس ... الخ الخ وهكذا قل عن اي شعب اوربي شئت فانك تجد فيه مثل هذه الحوادث شيئاً كثيراً

من ذا الذي قرأ مؤلفات « لوثراولباخ » و « اوجين موالر » — مؤلف رواية *LA MOINNETTE* — و « شوللر » و « ديتز » ولا يعتقد انهم افرنسيون اقحاح؟ بل من ذا الذي لايرى في مؤلفات « هرتزنبوخ » و « بيكر » صفات شعراء الاسبان؟ او من يرى في « دانتي [٥] » شيئاً غير انكليزي حاشا ا-ه قد يكفي ان يعيش المرء

(١) (تاسيت) مؤرخ لاتيني عظيم ولد بين عام (٥٥ و ١٢٠) قبل المسيح وألف كتباً قيمة عن تاريخ الجرمان ووقائعهم واخلاقهم . وتمتاز مؤلفاته بسلامة الذوق وفصاحة العبارة ودقة النظر

(٢) مؤرخ افرنسي كبير ولد في باريز وكان يعلم التاريخ في كليتها الكبرى وبالنظر لحريته منع من التدريس مرتين وقد بث كتاباه « تاريخ فرنسا » و « تاريخ الثورة » روح الحياة الوطنية في الفرنساويين (١٧٩٨ — ١٨٧٤)

(٣) (الايديالسم) مذهب فلسفي ادبي ينكر حقائق الاشياء مجردة ويعتقد انها ليست سوى صور فكرية لاتنفصل عن نفس المفكر .

(٤) اديب فرنسي ولد في (تروا) وله مؤلفات جمة في القصص والادب

(٥) دانتي شاعر ايطالي شهير ولد في (فلورنسا) وولي اعمالاً سياسية خطيرة ثم نفي فسكن باريز مدة وعاد الى (راڤين) ليموت فيها (١٢٦٥—١٣٢١) نظم قصائد عديدة بث فيها غرامه المبرح في (بياتريس) ابنة (فولكو) ولاجلها الف كتابه المسمى « بالحياة الجديدة » لكنه اشتهر خاصة بروايته المشهورة « الكوميديا الالهية » وقد نال بسببها لقب ابي الشعر الايطالي .

في امة ليقتبس عاداتها واخلاقها الحميدة والذميمة دون ان يكون بينه وبينها صلة رحم وان ظهر لنا ماينافض هذه الحقيقة في شخص بعض الكتاب وارباب الفنون فيجب علينا اذن ان نبحث عما اذا كانوا أو كنا نحن متأثرين باحد مصدرين للخطاء يصعب اجتنابهما.

من البديهي ان نميل الى البحث في « شاميسو » مثلاً عن صفات نلصقها بالافرنسيين ظلماً فنجدها فيه والسبب في ذلك سرعة تغير صور الحوادث في اذهاننا فتتطور طبقاً لما علق في أفكارنا من الصور المغلطة ، ومن جهة أخرى نرى ان من المألوف عند الشاعر او صاحب الفن العائش في انكلترا ان يبقى في رأسه فكرة وطن أجداده فيخيل اليه انه من الواجب عليه ان يكون ذا أطوار تذكره بذلك الوطن وبسبب الاستهواء الناتج عن تلك الفكرة نراه لايفتأ يغير في طباعه — من غير ان يشعر — ويألف أطواراً اخرى صناعية حتى يكون مماثلاً لمواطنيه الاصليين ، والمضحك في هذا الامر ان لايظهر في صفات بني وطنه الحقيقية بل يتلبس الصفات التي ينسبها الانكليز عادة لمواطنيه خطأ .

فالجنس اذن لايمنح المرء حقاً في جنسية محدودة وها ان أبناء الهوهكنوت الذين هاجروا الى مقاطعة (برادنبرج) اصبحوا اليوم من أحسن الالمان وابناء مستعمرة « استردام الجديدة » من الهولانديين هم الآن أميركيون شماليون لايختلفون عن الاميركان الاصليين في شيء . فالحروب وكثرة المهاجرة مع حركة الافراد وتنقلهم جمعت بين العناصر المختلفة في باديء الامر ومزجتها مزجاً غير قابل الانحلال ، وجميع شرائع الامم المدنية تظهر عدم الاهتمام بصلة الدم بما تبدي من ضروب التساهل في قبول الاجانب في تابعيتها وتجنيسهم بجنسيتها بحيث يكون لهم من الحقوق والواجبات مالرعاياها الاصليين

ولما كان أساس الجنسية المبني على « الانثروبولوجيا » (علم الانسان) غير كاف ، حاولوا ان يخترعوا لها أساساً تاريخياً قانونياً فقالوا : انمايكون الامة هو ماض عام ومستقبل عام هو الحياة العامة في ظل حكومة واحدة وشرائع واحدة ، هو ذكرى أفراح وأتراح تقاسمها افراد الامة سواء . هذه القضية على مابها من الزخرف الخطابي ان هي الا سفسطة يرفضها العقل مؤيداً بالحوادث . فكل من شئت من الروثانيين — اهل غاليسيا — عما اذا كان يشعر بانه بولوني بالرغم من مشاطرة الروثانيين البولونيين ، منذ

نيف والف عام في حياتهم وشرائعهم وحكومتهم السياسية . واسأل اي (فيني [1]) او (سيومي) — كذا يلقبون انفسهم — هل يعتبر نفسه اسوجياً فنلندياً مع انه يساكنه ويعيش معه تحت ظل حكومة واحدة منذ اكثر من الف عام ايضاً . نعم ان اتحادهما في الشرائع وفي الحكومة ولا سيما في العادات والاخلاق مما يستلزم تآلفهما وينبه فيهما عاطفة التضامن والتكافل . وعلى عكس مايجري مع اليهود فانهم قلما تعتبرهم الامم التي يعيشون في حضنها جزءاً (٢) منها . وذلك بانهم لايزالون متعلقين تعلقاً اعمى بعادات اجدادهم — كاستعمالهم الميقات ، وتعظيمهم ايام الاعياد والبطالة ، واحترامهم الشريعة الخاصة بالمآكل واتخاذهم السكنى . . . الخ — التي تخالف كل المخالفة عادات مواطنيهم المسيحيين والتي من شأنها ان تنبه في هؤلاء عاطفة الاستقلال والافتراق عنهم . فمثل هذا الاتحاد قد لايكفي لان يؤلف من شعوب شتى شعباً واحداً ذا جنسية واحدة

كلا ان هذا الاتمويه لاتلبث الحقيقة ان تبدده ، وما اندر مايظهر منشأ الانسان الطبيعي مرسوماً على محياه اذ القاعدة العامة تنكره ولن تقوى على اثباته . انه لا يشعر به في نفسه ، وكل ماقيل في حق (صوت الدم) ليس الا سفاسف يبني عليها القصصيون خيالاتهم ، وليس للشرائع والادارات السياسية وحدها من القوة مايكفي لتحديد الجنسية على مالها من التأثير في تهذيب اخلاق المرء . وما يحدد الجنسية في الحقيقة الا اللغة . فبها وحدها يصبح الانسان عضواً في جسم الامة وهي وحدها تخوله الجنسية . فلنتمثل حق التمثيل مكانة اللغة للفرد وحظها في تكوين وجوده وفكره وشعوره ومظهره الانساني

باللغة يتكيف نظر الانسان حسب نظر الشعب الذي هذبها ورقاها واودع فيها في تركيبه ادق حركاته الفكرية وارق خصائص عالم تصوراته ، باللغة يصبح الانسان ابن الشعب ووارث مفكريه وشعرائه ومؤدبيه وقادته ، باللغة يحفض المرء جناحه لأدبيات الشعب وتاريخه بفضل مايؤثران في جميع افراد ذلك الشعب فيجعلانهم سواء في الشعور والعمل . حقاً ان اللغة لهي الانسان نفسه . بها يدرك صفات الحوادث الكونية العامة ، وبها

(١) (الفينيون) قبائل تقطن شمال اوربا وآسيا ومنهم (اللابون) و (الاوستياك)

(٢) المقتبس : لذلك كان ماكس نوردو واضع اساس الصهيونية وهي ان يكون للاسرائيليين جامعة سياسية في فلسطين يؤسسون فيها مملكة مع الزمن تعيد مجد اسرائيل كما وردت البشارة بذلك في التوراة

يؤثر في العالم الخارجي . الا وان فرداً واحداً من بين ملايين الخلق يفكر بذاته ويلبس تأثيرات الحواس عليه صوراً شخصية وسائر الملايين من الخلق تتبع ذلك الفرد عن بعد او عن كثب ، في افكاره بما وصل اليهم منها بواسطه اللغة . كما ان فرداً واحداً يعمل ، ويبث مدركاته في الناس والوجود باعماله الآمرة ، بينما ملايين الخلق تحصر اقوالها في اظهار ماوصلت اليه عقولها من الرقي . فاللغة اذن هي اقوى صلة تجمع بين الناس . واخوان شقيقان لايتفاهمان بلغة واحدة تلقاهما غريبين احدهما عن الآخر اكثر من شخصين غريبين التقيا لأول وهلة فتبادلا التحية بلغة واحدة

قد رأينا ان انكليز واميركيي الشمال يتنافسون فيما بينهم لاختلاف المصالح ولكنهم سرعان مايتحدون قلباً وقالباً امام غير الانكليز ويشعرون حينئذ بانهم ابناء أم واحدة هي (بريطانيا العظمى) ولقد اشتعلت نار الحرب واشتد سعيرها بين الهولنديين والفلمنكيين عام (١٨٣١) وهم اليوم على وشك عقد اتحاد اخائي كبير . ولما حارب البويريون الانكليز او لما دافع البويريون عن انفسهم من مطامع انكلترا السياسية كان قلب الهولانديين يخفق لهم المآ وفرحاً بينما كانت العلائق بين هولاندة وحكومة الرأس (الكاب) قد انقطعت بتاتاً منذ قرن تقريباً . فلم يمنع اختلاف الشرائع والعادات والاخلاق وذكر التاريخ من اشتراك بلجيكا وسويسرا الفرنساويتين (لغة) في الدفاع عن فرنسا في حرب السبعين . وعلى الرغم من كره النروجيين الاحتلال الدانمركي الذي توصلوا الى التخلص منه اخيراً وبقاء شيء من ذلك الكره الى ايامنا هذه فقد رأينا النروجيين إبان حرب (شلسويك — هولستاين[1]) يتسابقون بحماسة الى نصرة من لاتجمعهم بهم سوى رابطة صغيرة هي اللغة ، واعظم بها من رابطة .

...

ولقد اتى على اللغة حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً وذلك حين كان الشعب في درك الانحطاط لاوظيفة له غير السخرة وتأدية الضرائب بينما كان الامر والنهي في ايدي فئة قليلة من المتسلطين . وكان يومئذ رجل الشعب لاحاجة له باللغة . وما ذا تفيده اللغة ؟ ألانين وصب اللعنات او كتابة مزحات غليظة داخل مغارته[2] ؟ انه لم يكن يختلط بغير رفقائه في القرية وهؤلاء لم يكونوا يعرفون من اللغة اكثر منه .

(١) مقاطعتان دانيمركيتان اغارت عليهما بروسيا والحقتهما بها عام ١٨٦٤

(٢) لم نفهم غرض المؤلف من هذه الاشارة .

اما السياحة والاغتراب او رؤية الغرباء في بلده فأمر غير معهود . وما كانت حكومة ذلك الوقت تستعمل غير السوط تكلمه به دون ان تعمد الى النحو او معجمات اللغة . وكانت الديار اذ ذاك بلقعاً خالية من المدارس . وكان رجل الشعب المطالب بحق من حقوقه في المحاكم لا يستطيع الافصاح عما يكنه صدره امام القاضي فلا يرى ثمة وسيلة غير الاستعانة بمحام يدافع عنه وما كان مأمور والادارة ليسقوا الى مبادلة الشعب الحديث او مطارحته الشؤون وكان الشعب في الكنائس يطفح قلبه بالعواطف التعبدية فلا يقدر على الافصاح عنها وذلك لان الكثلكة كانت تمثل له الاله كسيد كبير اجنبي لا يعبد الا بلغة اجنبية — اللاتينية — بواسطة قساوسة علماء في تلك اللغة فلم يكن من حاجة للفرد ولا في وسعه ان يخرج من مأزق الحالة الوراثية التي نشأ عليها الى محيط افسح مستعيناً بالكلام . وعندما ظهر شيء من الاستقلال في بعض المدن والدساكر اخذ السكان يجتمعون فيتحاورون ويتناقشون في امورهم وهناك كان للغة دور مهم اذ تفرق الناس شعوباً وقبائل بحسب اختلاف لغاتهم متنازعين فيما بينهم على السيادة والامارة .

اما طبقة الاشراف فما كانت لتهتم باللغة لاسباب منها ان حقوقهم في السلطة كانت مضمونة لهم منذ ميلادهم . فكانوا سادة امراء دون ان يفتح الواحد منهم فمه او يجر قلمه . اعتبر ماحصل في ايامنا في انكلترا التي لا تخلو تقاليد حكومتها الحالية من بعض عادات القرون الوسطى . اذ ان هولانديا من سلالة (ايقومي) — اللوردراي — اصبح فجأة سيداً من اشراف انكلترا وعضواً في مجلس اللوردات وذلك لخلو عائلته من وارث انكليزي ذكر يرث هذا اللقب العظيم . . . بمعنى انه اصبح ذا حق في الحكم التشريعي في المملكة البريطانية دون ان يكون وطنياً انكليزياً او ان يعرف كلمة واحدة من اللغة الانكليزية !!! ولما كانت بعض الاحوال العامة تضطر الشريف الى الظهور كان هذا السيد يتكلم باللاتينية او ينيب عنه امين سره في استعمالها .

في مثل هاتيك الاحوال كانت الجنسيات محدودة لان اللغة نفسها كانت محدودة اما في ايامنا هذه فقد سارت الامم شوطاً بعيداً حتى في روسيا والعثمانية فالفرد اليوم حر وله الحق — مهما كانت منزلته — ان يرقى ويعلو المنزلة التي شاءت الاقدار ان يولد فيها . اصبح العدل شفهياً والادارة مفتحة الابواب لكل الناس تقبلهم في احضانها وتساعدهم بتعليماتها ، وكذا المدرسة والجيش . وقد سهلت البرتستانتية على الشعب عبادة ربه بلغته واستماع المواعظ والتعاليم الدينية بها . فصارت مزاولة الكلام لازمة

لكل حرفة ومهنة حتى اضطر اعاظم رجال الدولة بل الملوك انفسهم الى تعود سهولة النطق وارتجال الخطب . وهكذا اكتسبت اللغة مكانة عظمى حتى ان كل عقبة توضع في سبيل استعمالها او كل ضغط يسهل استعمال غيرها من اللغات الاجنبية يشعر به الفرد كعار ألحق به وامتهان بشرفه .

...

ان من يعيش بسكينة بين مواطنيه في دولة يرتبط جميع اعضائها بجنسية واحدة والذي لم يقع له ان خجل من لغته او انكرها لا يقدر قيمة تلك الجنسية . مثله كمثل الذي لم يشعر بمرض هل تكفي قراءة الاوصاف والاعراض او قص انواع الآلام والعذاب عليه لكي يشعر بها و يقدر مكانتها ؟ ... اما من عاش في بلد مضطهدة فيه جنسيته ولغته غير لغة الحكومة و يرى نفسه مضطراً لتعلم لغة اجنبية لا يستعملها الا كاجنبي — هذا اذا لم يشأ ان يلبذ شخصيته او رفض الوظائف العالية والتمتع بحقوقه المدنية في تلك الدولة ليعيش كاحد عبيد القرون الوسطى او كاحد المجرمين المحكوم عليهم بالخروج من حقوقهم المدنية والانسانية ... هذا الذي يضطر للخنوع وتصغير الرأس امام جنسية اجنبية ، يقدر مزايا الجنسية الخاصة و يشعر بها ! ليس الحرمان من حقوق الشرف التي تحكم بها بعض القوانين بشيء مذكور في جانب الحرمان من استعمال اللغة ! ليس تصفيد الأيدي والأرجل بالاغلال باشد من عقل اللسان ! هناك يحاول المرء ان يخرج من سجن نفسه فلا يستطيع ! و يتأكد ان في امكانه ان يكون بليغاً فيرى نفسه مضطراً الى ان يرطن بلسان اعجمي . بل يرى نفسه محروماً من اقوى الوسائل الفعالة في التأثير في الغير فيشعر بانه مفلوج مقطع الاوصال !

ان المرء الذى يعرف نفسه لا يرضى لها مثل تلك الاحوال . ومن ذا الذي يقوى على انكار ذاتيته طائعاً مختاراً ؟ بل من ذا الذي يرضى بان يعيش عيشة خالية من افضل المزايا واعظمها : وهي استطاعة ابداء مظاهري رقيه النفساني الشعور والفكر ؟ نحن كلنا يقين بان الهندي الوثني المعتقد يطرح بنفسه تحت عجلات مركبة (جاغرنات [1])

(١) (جاغرنات) بلدة حصينة في خليج بنغالة واشهر المدن المقدسة في الهند سكانها ٢٠٠٠٠ الف و يحج اليها كل عام نيف ومليون وثني يردون اليها من اقاصي الجهات الآسيوية وفي العيد الاكبر يطوف البراهمة بمركبة عليها صنم معبودهم فيتسابق المتهوسون من الهندو الى طرح انفسهم تحت عجلاتها ليقضوا شهداء

طمعاً في ان يحيا حياة اخرى انعم واسعد من الاولى ، نعلم علم يقين ان (الفقير [١]) يأبى استخدام بعض اعضائه ويعيش سنين عديدة كنصف انسان او كأنسان مئابت وذلك لانه يجد من نفسه دافعاً ومن النعيم الموعود به مشجعاً ان هو قدم حياته لله قربانا ولكننا لانقدر ان نتصور اولئك الذين يولون لجنسيتهم الادبار ويرضون باستعمال لغة اجنبية يرطنون بها طول حياتهم بين استهزاء الآخرين بهم وخجلهم الدائم من انفسهم واما الذين يأتون بضحية مثل هذه جبناً او عجزاً او عن حماقة فعندي انهم يستحقون الشفقة الا الذين ينبذون لغتهم اي — أثانيتهم — وذاتيتهم المفكرة ويتسربون الى اهاب اجنبي طمعاً بنيل بعض المآرب فاولئك هم المذمومون المقوتون بل هم أذل من (السكوبزي) الروسيين Skoptzi الذين يخصون انفسهم لاعتقاد ديني اما الاولون فيخصون انفسهم عقلياً طمعاً بمال او بما يوازيه .. حقاً اننا لانجد كلمة تقوم بوصف هذا الانحطاط الاخلاقي!

...

ومن حظ الانسانية وشرفها ان اولئك الانذال هم الاقلون . اذ الاكثرية تتمسك بلغتها وتذب عن جنسيتها كما تذب عن حياتها . ان للشعب المتسلط ان يشرع قانوناً يجعل به لغته لغة الدول ويسلط لغة المغلوبين على امرهم حتى تصبح خليطاً عامياً للسوقة لايدخل المدارس ولا الكنائس ولا المحاكم ولا المجالس . فان كانت هذه اللغة راقية او منتشرة في بلاد اخرى ، ذات ادبيات وحظ واف في التعبير عن مظاهر الفكر الانساني سواء في السياسة او في العلم فانها لن تخضع لهذا العار . اذ تصبح الجنسية المضطهدة عدوة الشعب المضطهد تعض كفه الذي يحاول ان يكمها وتصيح مستصرخة تريد التكلم الذي اباه عليها غاصبها وبعد اليأس تحاول ان تهدم بنياناً سياسياً كان سجنها عوضاً عن ان يكون ملجأها .

قال احد هزابي الفرنسيس : لاوسيلة في الدنيا تقنع رجلاً تام العقل بان يسلم رأسه لتحز بالمقصلة (الغيلوتين [٢]) ونحن نقول بأنه لاشريعة في الدنيا تقوى على اقناع او ارغام شعب راق يشعر بوجوده ان يتنزل عن انيته وعبقريته . والدولة المؤلفة من جنسيات شتى لابد ان تقع في منازعات وحروب داخلية لاتستأصل الا بوسائل

(١) الفقراء طائفة من متصوفي الهند لاعمل لهم الا التسول .
(٢) الغيلوتين آلة الاعدام عند الفرنساويين قديما

راديكالية اي أصلاحية مطلقة أسمها (اللامركزية) المطلقة باوسع معانيها . لكنها وياللاسف لم تخرج عن نظرية معقولة تخيلها بعض الساسة ولا يمكن تطبيقها على مجرى الاحوال . وليتصور القارئ الى اي درجة يجب ان تصل اللامركزية ، لكي ترضي جميع الجنسيات المختلفة في دولة واحدة و يلزمنا ان نعرض لكل فرد الحق بتقلد الوظائف عامة في جميع جهات الوطن وان يشترك في الحقوق المسماة (بحقوق الانسان وحقوق الوطني) دون ان يضطر الى استعمال لغة غير لغة آبائه واجداده فيجب والحالة هذه ان تستعمل في المصالح الادارية — من مكتب البريد في القرية الى النظارة — والعدلية — من قاضي الصلح الى محكمة التمييز — جميع اللغات المتكلم بها في تلك الدولة . وهكذا يجب استعمال جميع هذه اللغات في المجالس النيابية — سواء في ذلك القرى والاقضية والولايات — كما يجب ايضاً تأسيس مدارس ابتدائية وثانوية وعالية لكل شعب وبالاختصار ان لا يضطر احد لتعلم لغة غير لغته لنيل ما يناله مواطنوه الآخرون فهل يمكن القيام بكل هذه الواجبات ؟

اللهم ان هذا الامر مما يستلزم تقسيم الدول الى اجزاء صغيرة ليس بينها اقل رابطة محسوسة ، ان مساواة تامة كهذه بين شعوب مختلفة في ظل دولة واحدة ليست ممكنة الا بين امتين فقط ، متساويتين قوة كما هو الحال في بلجيكا لا حيث يوجد عشر او اثنا عشرة امة — كما هو الحال في دولة النمسا والمجر — مختلفات في اللغة وفي العدد وفي المعارف لا صلة بينها ، متداخلة بعضها في بعض اذ ترى في القرية الواحدة ثلاثة او اربعة أجناس ولغات وفي الولاية اكثر من ذلك . ولا بد لدولة كهذه من لغة رسمية والشعب الذي تكون لغته هي الرسمية يصبح وحده حاكم البلاد . وهكذا تعدم المساواة التامة وتمتهن الشعوب الاخرى فتعيش عيشة منحطة . هناك ترى بين الافراد الوطني التام ونصف الوطني ذاك تطلق الشريعة لسانه وهذا تقضي عليه نفس الشريعة بالبكم . ومن يذكر تلك الاسطورة الالمانية (خرافة الغرايب السبعة) التي جاء فيها ان أبنة منعت من التكلم مدة سبع سنوات وان شعباً كاملاً حرم من ابسط حقوق الانسانية واعلاها يجد ان هذه الخرافة اصبحت ادارة سياسية في أحوال لا تطاق كالتي وصفناها !.

. . .

يعتقد بعض الخياليين من رجال السياسة انه سيأتي على الانسانية المدنة يوم لا ترى

فيه من حاجة الى الاوضاع الدولية الكبرى اذ لاحرب ولا امور خارجيـة : هنالك يؤلف الناس جماعات كبرى أشبه بعائلات كبيرة او جمعيات محدودة يتمتع الفرد فيها بحرية لترقية نفسه ويتكفل جميع اعضائها بالمساعدة الادبية والمادية الضرورية لحياة الانسان ويكون كل جماعة مستقلين عن الآخرين الا في المشاريع النافعة واللازمة لجماعات متعددة والتي لا تستطيع القيام بها منفردات فتتفق اذ ذاك تلك الجماعات اتفاقاً وقتياً خاصاً بالغرض المطلوب . وحينئذ تلغى الجنسيات لان الجماعات المستقلة تكون صغيرة جداً ومؤلفة خاصة من أفراد يتفاهمون بلغة واحدة . وقبل ان اقتنع بامكان تطبيق هذه النظرية في المستقبل فانا افضل نظرية اخرى وهي ان البشر ما داموا سائرين في طريق النشوء العضوي لابد ان يستغنوا ذات يوم عن اللغة وعن الحركات الرمزية للافصاح عن مشاعرهم فتقوم مقامها حركة ذرات الرؤوس التي ستخاطب الارؤس الاخرى مباشرة بنوع من الاشعاع او التنقل المستمر ! اني لاضع هذا النشوء الروحاني وذاك التقهقر الدولي في مستو واحد من حيث جواز الوقوع ولئن سلمنا جدلاً بامكان حصول احد هذين الحالين فهل نسلم بان الزمن اللازم لذلك قريب كما يدعون؟ كلا انه لابعد مما يتوهمون . لاجرم ان الامم المضغوط عليها لن تقتنع بهذا كما انها لن تسلم باستعمال لغة عامة . قد يمكن ان يستعمل بعض العلماء الراقين في الانسانية جمعاء لغة واحدة عامة لتبادل الافكار فيما بينهم . ولكن من الصعب التصديق بأن اقواما متفرقين يتحدون على تعليم هذه (اللغة المدرسية) لغة العلم ويخضعون لحكمها وسلطانها اذا اراد الراقون في امة ان يلقنوا الشبيبة اسرار العلم او يريدوهم على امر خطير او يبدوا لهم ماتوحيه ضمائرهم من تحليل او تحريم فلا يلجأون قط الى إلباس افكارهم ثوب تلك اللغة الاجنبية التي تحرف اوضاعها ، وتبدل اشكالها ، وتضيق عليهم نطاق حريتهم .

* * *

بقي امامنا بعد دحض ماتقدم وسيلة واحدة من الوسائل الراديكالية الآنفة الذكر الا وهي استعمال الشدة : ان اعمال التذبذب والتجارب الناقصة والضغط الضعيف قلما تفيد شيئاً في هذا الباب . لاسيما اذا كان المقصود اغتصاب ملك أساسي قديم يحتوي على جزء جوهري من الذاتية كاللغة فالتنازع لأجل اللغة ليس الاشكلاً آخر لتنازع البقاء فيجب ان يعتبر مثله : اما ان تقتل عدوك او تقتل او تنهزم ! والتنازع الجنسيات

ليس الا تكملة لحادث ظهر منذ قرون بل منذ الوف من السنين ثم سكنت ثائرته مدة فقام اليوم من رقدته ومشى مشية سريعة نحو الختام . ولسائل ان يسأل كيف أختلطت الجنسيات المختلفة وتدخلت بعضها في بعض ؟ وهناك الجواب : دخل شعب غازياً بلاد شعب آخر فلم يطرده منها بتاتاً بل بقيت فئات من الشعب المغلوب بين الشعب الغالب ، او ان الشعب الغالب كان اقل عدداً من المغلوب فلم يبق منه الا فئة قليلة . هنالك يشتد التنازع بعد ان كان ساكناً فيضطر الشعب الغالب لان يستجمع آخر قواه ليدفع عنه الشعب المقهور اوان يعدمه ادبياً بحرمانه من لغته بالقوة الوحشية اللهم الا اذا نهض الشعب المنزو فجأة مدافعاً عن نفسه فيطرد الغازين خارج بلاده او يضطرهم الى نبذ جنسيتهم .

ولقد تأتي الحوادث على صورة أخرى كأن ينزح فريق من شعب عن ديارهم لانها لاتكفي لعيشهم فيقطنون ديراً غيرها . فان كانت هذه الديار خالية في الماضي ثم شاركهم في احتلالها مهاجرون من شعوب اخرى فللمحتلين الاولين ان يعتبروا الجهاد في سبيل لغتهم جزءاً من جهادهم في تمهيد العقبات الطبيعية اذا ارادوا انشاء دولة تكون لهم ملجأ حصيناً ويجب عليهم حينئذ ان يدفعوا عن انفسهم خصومهم كما يفعلون بالمستنقعات والسيول والثلوج والمنحدرات والحمر والوحوش الضارية والجوع والبرد وان يعتبروا البيئة الطبية التي لم يظفروا بها في بلادهم والتي صادفوها في غير وطنهم كثمرة لتلغبهم على جميع العقبات الطبيعية والبشرية بعد ان عرضوا في سبيلها حياتهم . اما اذا كانت البلاد التي استوطنوها آهلة من قبل فيجب عليهم ان يعرفوا الشروط التي بها نالوا الضيافة . فان كان من تلك الشروط ان ينبذوا جنسيتهم وكانوا قد رضوا بذلك فضعفهم وجبنهم لايستحقان الشفقة . ولمضيفيهم ان يرغموهم على التنازل عن لغتهم وذاتيتهم لقاء الخبز الذي يجودون به عليهم . واذا كانوا قد احتلوا جزءاً من بلاد اجنبية دون ان يؤدوا ثمناً شائناً لهذا الاحتلال فيقتضي ان يكون عندهم الآن من الارادة والقوة مايمكنهم مما كان يجب عليهم فعله في بدء احتلالهم لو قوبلوا بالعداء فاما ان يبرحوا الارض حالاً واما ان يغتصبوا بحد السيف قطعة من البلاد او ان يقعوا في تيهور كانوا عاجزين عن الخروج منه .

* * *

على هذه الصورة تُمثل امامي مسألة الجنسيات . فهي كالفصل الخامس الأخير

لقصص تاريخية محزنة بدأ بعضها من زمن هجيرة الشعوب واكثرها بعد ذلك بكثير . وقد طالت فترة مابين الفصول لكنها لن تدوم ، فالستار ارتفع والكارثة تلوى وشك الوقوع ، انها ستكون شديدة قاسية وكذا تكون مقادير كل كائن حي اذ الحياة جهاد لارحمة فيه . وليست هذه مسألة حقوق بل مسألة قوة في اعلى واعظم معانيها . وما من حق يضطر الكائن الحي للتنازل عن الاسباب الضرورية لحياته ، ولا يمكن ذلك الا بالقوة ، والقوة تسبب الدفاع والممانعة . وهل يطلب من الاسد ان يهز ضكاً يحوله الحق في افتراس الحمل . الاسد يغتصب الحمل اضطراراً وهذا مبدأ حقه في افتراسه . لاجرم ان للحمل الحق بقتل الاسد ان قدر عليه ... وحيثما تكون الحياة او ما يماثلها معرضة للخطر يتساوى الحق بالقوة وهذا ظاهر حتى ان الشرائع البشرية جميعها تبيح للفرد الدفاع عن نفسه أي انها تسمح له في بعض الاحوال ان يستعمل القوة في الدفاع عن حقه . اوليست الحرب حالة من حالات الدفاع عن النفس بين الشعوب لابين الافراد ؟ اذا رأى الشعب في بعض الامور ماهو ضروري له مد يده لامتلاكه وحقه في هذا الشيء هو عين الحق الذي للأسد في إفتراس الحمل . فاذا شاء شعب آخر منعه فيجب عليه اذن أن يعارضه بالقوة بنفس الحق الذي له ايضاً . ولا وجه للمغلوب بالشكي مادام له الحق باعادة الكرة مرة أخرى . فان قهر نهائياً واضاع الامل بالقوة في المستقبل وجب عليه ان يرضى عن للقضاء قائلاً : « خانت حملاً فيجب ان أعيش عيش الحمل ، حبذا لو كنت أسداً ! ولكن من الحمق مشاكسة القطرة لانها لم تخلقني اسداً »

ان الشعب الذي يراد تزع لسانه لهو في حال الدفاع الشرعي ذوحق في المناضلة عن اثمن ملك لديه . لكنه اذا لم يك قادراً على الدفاع فلا حق له بالتذمر والشكوى . كما ان للشعب المتسلط ان لا يدع الضعف يتطرق الى لغته بوجود لغة اخرى في البلاد وان لايسمح بما من شأنه ان يقلق راحته في المستقبل . فان لم يقدر على حفظ حقه بالقوة فعليه ان يعترف للشعب الآخر بتساوي الحقوق فيما بينهما وان يهبط عن تلك المنزلة العليا منزلة الشعب المتحكم ، وان كان تحكمه شرطاً من شروط حياته فاحكم عليه بالهلاك . واني لأأبقي هذا الحكم بدون تمييز على جميع الجنسيات المتنازعة كالالمان في هنغاريا وبوهيميا وكالدانيركيين في مقاطعة شلسويك الشمالية وكالبولونيين في پوزن وكالرومانيين في ترنسلفانيا وكالايطاليين في طارانت . للخمسة الملايين من المجر في

هنغاريا الحق بصنع الاحد عشر مليوناً من الشعوب الاخرى بصبغة المجرية مفهم يتمون الفتح الذي بدئ به سنة ٨٨٤ من عهد (ارباد [1]) ولكن للألمانيين والسلافيين والروماييين في هنغاريا نفس الحق في الدفاع عن انفسهم وان قووا يوماً على المجر ونزعوا عنهم جنسيتهم فليس لهؤلاء الا ان يقبلوا ماخيأ لهم القدر الذي قادهم منذ الف عام الى النزول على بلاد اجنبية كادوا يخسرون فيها حياتهم . وللتشيك ايضاً الحق بتأليف دولة مستقلة لايقبلون فيها احداً من الالمان وهكذا يستعيدون عهد الوقاع الدامية التي حدثت في مارش وفي الجبال البيضاء وللألمان ايضاً الحق بان يقاوموا بقوى اشد من اقوى التشيك و يصلوم حرباً ثالثة تبرهن لهم انهم غير اقوياء على فتح بلاد خلوها منذ اثني عشر قرناً دون مقاومة .

...

لابد لاوربا ان ترى مرجل الجنسيات ينفجر انفجاراً عظيماً هائلاً عندما يأتي دور تصفية الحساب . والفرق المتبعثرة من كل شعب اما ان ترجع الى اصلها فتلتف حوله واما ان تستصرخه وتستنجده فتنتصر بمعونته على الشعوب التي تستبدبها . ومصير الشعوب الصغيرة التي اكتسحت بلاداً بالاشتراك مع غيرها الى الزوال ان لم يكن لها من قومها عضد قوي يساعدها على الثبات امام جيرانها الاقوياء . هناك لاتثبت الا الامم الكبرى ، ومن الامم الصغرى من تستطيع تأسيس دولة مستقلة بطرد او نحو سائر العناصر الاجنبية التي تعيش بينها

وقد لايمضي القرن العشرون قبل ان يشاهد ختام هذا المشهد التاريخي . بل سترى او ربا منذ الآن الى ذلك اليوم العصيب شروراً كثيرة ودماء مهدورة ومظالم عديدة وقساوة بربرية فستمحى شعوب وتسحق اقوام بدون رحمة ولا شفقة . وتبدو امام هذا التسفل البشري مظاهر شجاعة عالية هنالك اذم انذال يخضعون ادبياً بدون مقاومة وهناك ابطال يشربون كأس الردى ممزوجة بالعز والشرف . وبعد كل ذلك تقنع الامم الباقية بحقوقها الوطنية لايرون فيها غير انفسهم . انها لنظرات مرعبة تتراءى لنا لكنها قليلة تخيف من استعد لتحمل قسوة ناموس الحياة العام : الحياة جهاد وقوة الحياة تكسب الحق فيها . وهذا الناموس سار على الشعوب في الافلاك كما هو سار على

(١) (ارباد) فاتح مجري توفي عام ٩٠٧ وهو رأس السلالة الملكية المسماة باسمه التي انقرضت عام (١٣٠١)

المكروبات في مياه المستنقعات وهو جار ايضاً عَلَى الشعوب يدير مقاديرها ادارة لا تقوى عَلَى تغييرها شريعة غاشة ولا سياسة قادرة ولا مصلحة ملكية ولا خبث انذال ولا تلاعب لؤماء

ولقد تدمع عين ذي العاطفة حينما يرى شعباً يجود بنفسه . اما ذو العقل فيعترف بان هذا الشعب هلك لانه لم يكن ذا قوة تكفيه للحياة ثم يضع هذا الشعب بين الاشكال البيولوجية (الحيوية) المغلوبة عَلَى امرها والتي مر عليها نشوء الكون .

نقد كتاب البنين

لا تجاوز الكتب العلمية التي عربت في سورية منذ انتشار حرية المطبوعات عدد الانامل وكتاب البنين تأليف بول دومر من رجال السياسة الفرنسوية هو من انفع الكتب ولذلك احسن عبد الغني افندي العريسي احد صاحبي جريدة المفيد في نقله الى هذا اللسان العربي وقد قدمه الى رفيق بك العظم فقدم له صديقنا هذا مقدمة في علم الاخلاق عند العرب وذكر بعض ما كتب فيه علماؤهم وعرب فيه حديثاً الى لغتهم اجاد فيها كل الاجادة

والكتاب تأليف رجل جرب الامور فقال عن تجربة اكثر مما يقول عن علم نظري قسمه الى أبواب الباب الاول في الارادة والملكة والواجب والاقدام والسعي والعمل وتهذيب الاخلاق والعدل والاخاء والحرية والتسامح وتهذيب العقل وتأثير الاخلاق في الجسم الباب الثاني في ذوي القربى والارحام والمحبة والوداد والزواج والبنين والسعادة والثراء ونقص الانفس الباب الثالث في الديموقراطية والدستور والواجبات الوطنية والمساواة في الحقوق وأنوع الحرية والتعليم والتعاون وتدارك البؤس الباب الرابع في حب الوطن والسفسطائيين وهذه الامة وقوى الوطن والحرب والجنس البشري

ولا نعلم الطريقة التي جرى عليها المعرب لان الكتاب الاصلي غير موجود لدينا لنقابل بين الاصل والفرع ولم نره منذ عربنا عنه يوم صدوره مقالة في السنة الاولى للمقتبس عَلَى سبيل النموذج ثم رأينا مجلة أنيس الجليس في الاسكندرية قد عربته

او اكثره ونشرته تباعاً والغالب انها لم تنشره على حدة وقد لاحظنا المعرب قد التزم التعريب بالمعنى الا في مواطن اضطر فيها الى متابعة الاصل فجاء على تعريبه بعض الجمل شيء من الاضطراب

مثال ذلك تعريبه (ص ١٣٥) لابيات فيكتور هوغو بقوله :

عهدنا اذ لو ضممنا عمرنا ماحيا العمر لسن الاربعين
عهدنا اذ يبسم الدهر لنا عن ثغور ملؤها عطف ولين
عهد ايام بها كان الشنا ه علينا كربيع الياسمين

وكذلك تعريبه لابيات هوغو ايضاً (ص ١٤١)

إلهي لاتصب جسمي بسوء ولا قومي بشر مستطير
ومن على احبائي بلطف وآبائي واخواني بخير
ولا ترزأ بمكروه عدوي ولو انحى بمكروه عسير
ولا تجعل بلا زهر ربيعاً ولا تفص الطيور بلا طيور
ولا تدع القفير بغير نحل ولا بيت الفتاة بلا صغير

واسقم من هذا تعريب بيتين لنادو (ص ١٢٢).

الا ايها الطفل الودود الا ارحل فانت من الاوهام حلم تلذ لي
زعمت بحب الاميمة صادق وما حبكم الأمهات بامثل

ومثله في (ص ٥٨)

خدموا بني أوطانهم فقضوا شهداء فيما للوفا وجبا
فذروا الزهور على رموسهم فلقد حكوا بوفاهم العربا

وانت ترى الضعف بادياً في هذه الابيات وكان على المعرب ان يعرب المعنى ويكتفي به او يدفع المعرَّب بالحرف الى شاعر كبير يعربه له بنظم سلس لا غبار عليه فان الشعر كالموسيقى والخطاب العام والتصوير لايستحب فيه الا المفرط في الاجادة كما قال لابرويير العالم الفرنسوي في مقدمة كتاب الاخلاق

ثم ان المعرب اقحم عبارات في متن الكتاب ليست منه كما فعل في صفحة ١٠١ فوقف موقف المؤلف وعدد الكتب التي يجدر بالفتى العربي ان يتلمسها ثم اقحم جملة فيمن وقع اختياره عليهم من رجال العصر الحاضر ومن الشعراء الغابرين والمعاصرين ومن المؤرخين القدماء والمحدثين فهذا الاقحام غير محمود خصوصاً والناري يجب ان يرى

مايقول المؤلف فقط اما المعرب فاذا كان له ذكر خاص فما عليه الا ان يؤلف رسالة خاصة في الموضوع تكون اوقع في النفس لانها تعرب عما خصصت له اذ ربما تغير حكمه الذي اصدره اليوم غداً او بعد غد وهذا لايجوز في كتاب اخلاق يتداوله الناس الجيل بعد الجيل .

وقد رأينا الكلام مخطوماً (ص ٢٦٣) عند كلام المؤلف على العرب ومدنيتهم اكتفى المترجم بوضع بعض اصفار دلالة فيا نحسب على ان هناك جملاً لم ينقلها وكان الاولى ان تعرب بالحرف ليطلع عليها القاري، واذا رأى المعرب ان المؤلف خرج حقيقة عن الصدد يذيل عليه مما يعلم في أسفل الصحيفة فان الامانة تقضي بان تنقل الكتاب برمته والا فيسمى تعريبنا له مسخاً او Adaptation كما يسميه الافرنج

وقد رأينا المعرب يتوكأ على العويص في الاحايين فيستعمل الفصح الجديرة بالاستعمال لتتلقفها السنة الطلاب وافلامهم فيدمجوها في تضاعيف منشآتهم ولذلك جعل في آخر الكتاب جدولا للالفاظ اللغوية ونفسيرها بما يرادفها . ومع حرصنا على نشر الفصح كنا نفضل لو عرى هذا المعرب من كل مايشوش ذهن القاري، ويحصره في الاستفادة من الفكر فقط

فبدلا من ان يعمد الفتى او الفتاة الى المعجم ليرى فيه تفسير ماورد (ص ١٥٧) من معنى « جلجلان » القلب يكتفي المعرب بان يقول حبة القلب او سويداؤه وما نخال أحداً من البلغاء القدماء استعمل هذه اللفظة الملتافة الحروف مثل « مشمخر » و « مستشزرات » و « سجنجل » التي نص عليها علماء البيان وحرضوا على إطراحها في الاستعمال لما فاتها الفصاحة ولان في اللغة ما يقوم مقامها

وقد وقعت للمعرب الفاظ كررها في الاستعمال مثل تلابيب جمع تلبيب وهو جمع الثياب فاستعملها في استعارة غير لطيفة كقوله (ص ٣٠) (التي كتب لمن اخذ بتلابيبها بالسعادة) وقوله (ص ٢٠٤) (قائم بين أسرته بتلابيب التهذيب والعلم) وص ٢٣٧ (اخذت بتلابيب الترقي)

وسقط المعرب على بعض الاستعمالات البعيدة او المنافية لروح الفصاحة واللغة مثل قوله (ص ٣٢) : (لاتجدي لاعصابك) والاحسن تجدي اعصابك . وفي (ص ٣٣) (فلايدع في اسمائه للصدفة مجالا) والاولى ان يقال للاتفاق لان الصدفة لم ترد بهذا المعنى ولذلك خطأوا من قال : في صدف الدهر صدف الدر وفي ص ٣٤ لكان

برسعها والاولى ان يقال لكان في وسعها وقد ورد هذا الاستعمال في عدة محال من الكتاب وفي الصفحة نفسها (يفضي الى فتن مستطيرة ومحن معقودة) وما نظن الصفة الثانية مما سبق استعماله وفي ص ٣٧ (تمسك منه مواس الخير) (عمل يخلص عنك لمنفعة الناس) (يدأبون فيها و يلوون عليها) (فيسعى في مصلحة ذرارية) ولفظ مصلحة وقعت للكاتب غيرما مرة وهي من استعمالات جرائد مصر.

وفي ص ٣٨ (اصبحوا بمكان الظنة والتهمة) ولعله يريد الظنة (لا يعتمون ان يحرجوا في امرهم و يعرم بهم) (فعلى المرء متى جبه الواجب مصلحته ان ينأى عنها) ٤٨ (حبابه ان يستتيم له الوجدان) ٥٠ (فان الواجبات تتضارب كثيراً مع بعضها) والاولى بعضها مع بعض ٥١ (فمن كان يستمسك بحذافيره يستمسك بالاثرة الحسنة) ٥٤ (اي رجل كب عَلَى عمله) الاولى اكبّ ولعله من غلط الطبع الذي وقع كثيراً في الرسم والحركات مثل تشرأب اليها نفوس) والاولى تشرئب ومنها (ان يناوي كل مكروه ومرزئية ومخوفة) ٥٦ (اخذه رابط الروع) ٥٨ (يجدر ان يكتب عَلَى صفائح ضرائحهم) ٦٥ (فقد ارتى فيها رجال القول واصبحوا بمكان ثقة من البلاغة حتى امتدحوا منذ قرون مدحاً عرفوا كنهه ايام الطور) ٦٦ (لاتدخله سآمة من دؤب ولا اعياء من لغوب) والاعياء واللغوب يكاديكون واحداً وان كان اللغوب اشد الاعياء وفي الصحاح اللغوب التعب والاعياء ومثله في الغاية والغريبين وما ساق اليها الا التفية ومثله (بدرت منه بادرة تزاع الى البطالة) ومثله ١٢٤ (فثق بعائدة من عطف واحسان من رحمة) ٩٦ (حتى يساهمه بديئة بدء) لعله بادئ بدء او بدأة ذي بدء ٧٠ (اعملوا واقدموا حزما . فان طيب الحياة ورغد العيش ليس لمن كان غنياً منكم ... فاعملوا كداً كداً لانفسكم ولذويكم ولامتكم فتروحوا النفس وتسروا الخاطر) جمل ركيكة ولا سيما « اقدموا حزماً » « واعملوا كداً كداً »

٧١ (ومن ثم تطمئن نفسه فلا يستشير مياز ين الجو) ٧٢ (وهكذا الحال في النهامة) ٧٨ (فعلى من نزغته نفسه الى ان يتزيى بما هو ليس من اهله) ٨٠ (ومن الضرورة ان نلحق بهذه المعالي مدافي نستكف منها ونعرض عنها الا وهي الخلاطة والخلاعة ...) (فعلى الفتيان ان يجزموا فيجترسوا من الخلود الى هذه الملذات) (لان من اعتاد ان يأكل مطاعم توبلت لايستلذ بعدها بمطاعم غيرها) ٨٣ (لكنها رواحة للنفس) ٨٧ (واتخذ كل عضو من بني الانسان اخاً لك تودده عَلَى السواء فلا تضمر

لاحد منهم وحراً ولا لاية امة وغرا لاداعي له ولا سببا)

٨٨ (نارت نائرتها فحاصت ولابت حول الام) ٨٩ (ولا تكونوا مشحشحين ! « قلال الخير » تخلفوا الاحسان ان لم تكافأوا) ٩٦ (فالعقيدة امر خاص بالوجدان يجرح ولو بخفيف المسيس) ٩٩ (ويقدموا بيقظة انتباههم على مستقبلهم) ١٠٠ (ينبغي للمرء ان ينظر فيها نعما حتى يتشرب عقله بها) ١٠٣ (ان العمل خير علاج لكرائه الحياة) ١٠٨ (فالرياضة واجبة لسداد الجسم نسعى اليها بهمة لا تفتر ولا تستحسر)

١١٠ (والممرضات اللاتي بلازمن المصاح فانهم يتعرضون للامراض المعدية والاوبئة المشؤمة ولا تلحق بهم اذية .... فمن لم يفتأ عن ان يتداعى المرض ويتوجع نحو الى المصائب وحواضر النوائب ويحاذر من طواريء الخطار) ١١٥ (غاب عني هذا الرجل بضعة سنين ١١٧ (فالام العظام والملل الشداد)

١١٩ (يطالب اليوم بعبادة الناس الذين نسل منهم ... ولم يسلسل آباءه الى اجداده) ١٢١ (واجب يتحتم علينا منذ نستمد الحياة منها) (وتكابدا (كابدا) الخطار لدواعي صحتك وصليا بالشاق في شؤون تربيتك) ١٢٢ (المودة تضمد جروحات المصائب) الاولى جراح او جروح .

١٢٣ (سلاماً ورحمة ايها الابوين ! فقد قضيتما الحياة على القناعة في بيت حقير) (أماه داخلني حماسك) حماستك

١٢٥ (ولا ترأفن بنفسك عن محامد) لعله تربأن ١٢٦ (دينوا ابويكم ايها الناشئون كما دانا كم بحب خالص) (سنة مطلق حكمها شديد وطأها (وطؤها) وودوا فان الوداد سجية رقيقة الجانب يعلق بها كل ناشيء و يواقع امرها)

١٢٩ (فيحدو عنه اكاذيب العواطف) (فان الصبر ليأزر وان الكراهة مع تداول الايام لتزول) ١٣٠ (وليكن من الود والعقل اتحاد يسبلك ايها الفتى جنبات الصواب)

١٣١ (على الرجل ان يأوي « يؤوي » المرأة تحت جناحه) ١٣٢ (وليس يقصد من ايداع الحياة ايجاد بنين فقط بل تربيتهم وتمكينهم من القيام حقه في شؤون الحياة وجعلهم رجالاً رجالاً)

١٣٢ (ان المرء لا يصدر عن الزواج الا رجاء ان يلقي عن اكتاده مهام الاسرة)

١٣٧ (لم يكن امهات او كن الا انهن اضطررنا الى ... انحطت انحطاطاً ليس بعده

من انحطاط) ١٣٨ (وكلى المرأة الفرنسة) (الاوان الانتظام بين المصاريف (النفقات) والارباح لامر تطلبه رفاهية الحياة) ١٣٩ (فتصبح مثله سافل امرها عرضة لكل المثالب والمعايب)

١٤٣ (أحاجتهم للسعي اشحذوا واحضأوا نيران شجاعتهم ١٤٧ (لو لم يثبت ذلك بالبرهان اول بدء) (نوجه اعلاق قلوبهم الى امهاتهم ونجعل كعبة ثقتهم فيهن لان للام تأثيراً عليهم اقوى من تأثيرنا لرقة في عواطفها) ١٤٨ (وان في البنين روح عظمة تناصب النساء مناصبة تقيدهم وتروضهم على اعمال الارادة تحت ظل الام بدون ان يتفيل حزمهم) ١٤٩ (وتأهل فأبا البنين يودهم وليس للثراء ولا للفقر يد على السعادة) (فان من فلت ذات يده عن حوز طيب الحياة فقد شقت عليه حياته وتعاظمته اوقاته ... لانه مادام قاصراً عن تنمية مورده مادام الفقر يدقعه و يذهب من جميل أنسه بأمسرته)

١٥٠ (بيد ان الثراء وان لم تكن به السعادة اداة ذات بال للسعي ببتغيه ، ولا بدع ، سواد الناس ، لان من الحكمة أن يدأب المرء) (ان من لاسعي له ولا عمل للحصول على المال مساق (مسوق) بالطبع مع الذين) ١٥١ (بل عليه ان يكون في كل الاحوال بسيطاً في حياته قائماً (؟) أسرته) (يقنع بما بين يديه و يوافق مورده ومعاشه على الدقة وتقدير المنزلة فان من كان مورده مساناة (مسانهة) خمسة آلاف ليرة ومصرفه (نفقته) خمسة آلاف ومئتين وخمسين ليرة كان فقيراً يتدرج الى السآمة والمشكلات)

١٥٢ (ان من يقطع عن الناس شوابك العلائق علائق الذات والاسرة) ١٥٣ (واعلم ان للعلائق والتعارف مع الناس سيئات أكثر من حسنات) (واقللوا اوقات فراغكم في المنزل) من التعبيرات الافرنجية الاولى ابدالها باصرفوا واقطعوا وماشاكل ذلك ١٥٤ (ولاتهاملوا في زخرفة الاثاث فيقولن احدكم اني معيل لاقدرة لي عليه ففي سعة (وسع) كل الناس فقيرهم وغنيهم ان) (او تكلف في زينتها او تماجن في صنعها)

١٥٥ (تزيد المشرة وتوزن الجسم والاخلاق) لعلها تعدل الجسم

١٥٨ (اذا ضربنا صفحاً عن بلاد الروس المختلفة اصولها المجهولة سكانها في ذلكم العهد) (مضى على ذلك التاريخ ثلاثون ربيعاً) الاولى سنة لان الربيع بهذا المعنى لم يرد في شيء من كلام العرب (بيد ان الانفس فيها مازالت تزداد بذلك الحين ولكن في

التناقص عن بقية الامم) (ثم دهي الامة الفرنسوية سنة ١٨٧١ فقد ولايتين « الالزاس واللورين) تبلغ مساحتهما ١٤ مليوناً ونصفاً من الكيلو متر المربع) الصواب ١٤ الفاً وخمسمائة كيلو متر مربع ١٦٠ (الانفس تزداد لدى جميع الامم ودمنا على موقف الجمود) (والانكليز الذين لم يكن لهم في ذلك العهد الا ثلثي ما للامة من الانفس)

١٦١ (هذا اذا أخذنا بلاد المال والايقوس (ايكوسيا) وتركنا بلاد أيرلاندة على معزل) ١٦٣ (نقطع دابر الامل من) استبارة غير حسنة (عرضة الاحتقار وموضع الصغار) (لامرية ان ستلهم مادتنا الشعوب وتستلحم عنصرنا شعوبٌ) ١٦٤ (ولقد كان في استطاعتهم الا يجيبوا سنة الوجود) (وأظن ان كان في الاعصر الخالية قبل وضع التاريخ رجال سفسطة)

١٦٥ (إلا ان هذا لايكون طباب (مايطيب به) لنفس الانفس فان طبابه في الحمية الوطنية) (زلقت على أحادير الانحطاط وأشفاء الموت)

١٦٨ (مبادئ لايجوز لاحد ان ينكر عليها) ١٧٠ (تنقل هذه الصلاحية الى أحد) والصلاحية كلمة لم يسبق للبلغاء استعمالها وهي من مواضعات الاتراك تسربت الينا من المترجمات والصحف والاولى استعمال اختصاص او سلطة (فالديمقراطية والارستوقراطية عرفتا في بلوب الامم) (كبرياء المتنفذين) ليس في اللغة لتنفذ ١٧١ (ان كل المظالم ثقيلة على النفس مكروهة لدى النفس) ١٧٣ (فاستدعى ذلك الى توحيد القوى) والاولى دعا ذلك ومثله ص ٢٦٢ (يستفع منها اكثر من ذلك (والصواب ينفع فان سين الطلب غير مقبولة كل حين

١٧٤ (كما وانه لايخلو) كما انه (على مايظن البعض بل سارت في بلاد اوربة أبعد من ذلك فازدادت المصلحة العامة الى درجة الزمت الحكومة لتكثير الدوائر ... مما يعود بالنفع على عموم ابناء الوطن والاحسن) بعضهم بدل البعض وأضاءت الحكومة الى تكثير بدلا من الزمت ويعود بالنفع على عامة ابناء الوطن بدلا من عموم

١٧٦ (لاتكون فيه الحقوق مضمونة مصانة) مصونة

١٧٧ (فحكومتنا اصبحت بالتالي حكومة ديموقراطية) فبالتالي استعمال افرنجي (فهي لاتقترب خناقاً على الحياة ولا تقف دون ترقي الامة) ١٨٠ (جروحات الديموغجية)Démagogie والاولى تعريبها هكذا مضار مماشاة العامة على اهوائهم او خدمة العامة او ماشاكل ذلك ١٨١ (يتحمل تبعات اعمالها وحركات امورها

ويسئل عن مصيرها) (فيقرع صفاتهم ان تواقعوا الى الوحدة ويشنع على زكة السوء) فسر زكة السوء بابناء غير صالحين ويقرع صفاتهم بنقائصهم ويعيبهم وتواقعوا الى وقعوا وراء بعضهم والجملة بدون شرح لايفهمها الا الحريري والمعري على تكلف في رصفها

١٨٦ (رضاء مجلس الاعيان) والصواب بدون همز ١٨٧ (ومن ثم يصح لهم ان يحلوا فويض «عوبض» الامور السياسية بسكينة روع ويهتموا قبل كل امر في مصلحة بلادهم حتى اذا حفظت هذه المصلحة الفت كل منهم الى مصلحة حزبه وقد ينبغي حتى في مصلحة الحزب ان يكون ٠٠) (فالواجب في الامور السياسية معها كان صعباً متليساً منفاربياً)

١٩٠ لان الوظائف والمناصب هيكل لجسم هذه الامة المتمدنة «المتمدنة والمتحضرة» (فاذا عرض له قرح طرأ الداء)

١٩١ (في مسئلة تعيين اولياء الامر وان يقبلوا على وجدانهم يستشيرون بتلك القضية قبل العزيمة) ٠

١٩٧ (لان في ذلك مسيساً لحرية السعي) ١٩٨ (حجز النساء عن التعاطي في المعامل) ٢٠٤ (أخذت من قلوبهم شعراً كبيراً يعلق في حبها)

٢١٥ (اتى على حاضر تكدر صفوه وجاءه مستقبلاً خفي كنهه) ٢٢٠ (رجعوا فيها واديموا النظر ولا تحذروا) (ولو كانت ملوءة الفاظة خشونة واعمالها غلظة) ٢٢٢ (تاقع القلب من اقدامهم مبرود الغليل من شجاعتهم) ٢٢٤ (متى اعتقد الاغيار) جمع غير هي من استعمالات الاعاجم فيقولون يار اي المحب واغيار اي العدو ومنهم سمرت الى بعض كتابنا ، فاستفرغ العتل وهز القلب ورق دمك ولا تضن بقطرة منه صيانة لحياة الامة وتمهداً لمصلحة الوطن) ٢٢٥ (وكلما كان الاستئصال شديداً متراصاً كانت الامة على عظمة وسؤدد) ٢٢٦ (من جري مابث فيهم السفسطائيون) (فأوردوا بهم تحت ايدي البرابرة ايداء هون اليم بتهم الله اكتنافهم فالبسوم قناع القهر وقلدوهم طوق الذل وتوطوهم بحر القتل) (تستدفع مايقعر العنصر فانا لانزال امة مستبصرة باقية النسيم غير نازعة الى الموت)

٢٣٠ (مرارة سخريته من هؤلاء السفسطائيين) والمرارة هنا مثل عتاب مر لم تألفها لغة العرب العذبة (في الاجيال الآتية) اي القرون والجيل غير القرن (الا وان

خير امة اخرجت للناس أمة تشربت الوطنية حتى الكفاف) ٢٣١ (بغير تُدق ولا جدل ولا خلجة اذا نادهم منادي الوطن) ٢٣٣ (اقليم مر ومعمعان تنازع يوآزر العزيمة ويستتب خفض العيش ورغد الحياة) ٢٣٤ (ثم لاحت بين ظلامة هذه الاعصر بارقة عقل وشارقة عدل) (ثم تماسكت الامة فرتقت الفتق ورفئت الخرق) ٢٣٥ (لكن النائرة قد نارت والفائرة قد فارت)

٢٣٨ (فاصبحت والالمان يفوقها بعشرين مليوناً على حين ان ارض الامتين متساوية في المساحة والانكليز بثلاثة ملايين على حين ان ربوعهم لا تكاد تعادل نصف ربوعنا)

٢٤٠ (يدفعانها الى ان تنهض من اغمض الهوات الى اعلى الدرجات) (وانأبوا ايها البنون في مصلحة الوطن ومجد الامة)

٢٤١ (قلبوا الطرف ايها الفتيان على موقع امتكم من الارض تجدوها على اجمل بقعة واخطر قطعة) (بحيث أصبح من الواجب ان تضطلع لعبئهم وتحفظ الموازنة بينهم)

٢٤٣ (تبذل النكيثة « النفس والقوة » حتى تصير قوة الجيش في البر الى تناهيها) (عظيم الاجلاد عظيم التجاليد) فسرها بالضخم القوي (فان من الضرورة ان يعتزم المرء على مران الجندية فيرتاض عليها قبل ان يسلك في نظمها) (عن طيب نفس وبسطة ذرع)

٢٤٤ (انه لقسم لو تعلمون جميل فينبغي لكل عضو من الامة ان يوءلي على نفسه ذلك الايلاء حين ينخرط في سلك الجندية) والايلاء والانخراط هنا من ابشع الالفاظ ٢٤٥ (الانشودة التي تردد نأمتها في الفضاء) النأمة النغمة والصوت ويقولون أسكت الله تعالى نأمته اي اماته فالاولى عدم استعمالها في هذا المقام (تغرورق عيناه وتصطك شظاياه) وفسر شظاياه بعظام ساقه ٢٤٦ (ولا تذهلن ان الوطن أمك) والاحرى ان يقال ابوك لان الوطن La patrie مؤنث بالافرنسية مذكر بالعربية

٢٤٧ (كونوا جنداً غلاظاً مستبسلين) والاجمل شداداً بدل غلاظاً

٢٤٩ (بثبات قلب ورسوخة طمأنينة) ٢٥٠ (وبعد فقد وجب على الامة وراء ان تسعى اقصى مجهودها وراء ان تجعل الوطن على قوة وهمة)

٢٥١ (فكان ذلك مثلا مراً استفادت منه حق الاستفادة) (حاجة الامم الاقتحام على الحروب العادلة فبرهن بحجج عديدة وامثلة كثيرة على وجوبها)

٢٥٣ (ذلك مثل يجب على كل امرىء ان يحذو حذوه و يتحكك تحككه ايام الفتن والمشاغب)

٢٥٤ (والسعي وراء منفعتهم كما يسعى المرء وراء ان يجعل امته) ولفظة الوراء هنا من الاستعمالات المولدة المبتذلة لابد بدها من يجب تقدم اللغة الى الامام

٢٥٦ (تسكن وسط افريقيا وجبال آسيا كمن كان عليه سكان الامبركان) (تمدن الشرق الادنى الذي ناهض تمدن اليونان والرومان زمناً طويلاً على الجهد وامتد من جنوب آسيا وغربها الى زدم « سد » حملايا المصمت « مالا فرجة فيه » ٢٥٧ فاعتراها مااعتراها لما تحكك بها تمدن آخر اكثر كمالاً من تمدنها)

٢٥٨ (وكان حب الوطن والاقدام مزدرعين على السواء في قلوب الذين ينهضون بامتهم) جملة لم تشم ريح العربية ٢٥٩ (لا سيما قد بينت العلماء ذلك التاريخ في هذه الايام على أحسن بيان) اي أحسن بيان .

٢٦١ (حتى ماتت تلك الامة القوية المجيدة في الهون) ٢٦٤ (حتى كاد العنصر الاسود في افريقية وعنصر الزنوج في أمريكا لا يبلان من علة الانحطاط)

هذا ماعلقناه من هفوات الكتاب وهناك بعض أمور طفيفة لايكاد ينجو منها كاتب في هذا العصر والعصمة لله وحده بيد ان هذه الهنات لاتقدح في فائدة هذا السفر البديع ولا تحط من مكانته فهو حري بالكبار والصغار ان يقتنوه و يتدارسوه و يتدبروا معانيه ومغازيه . ونثني على همة صديقنا المعرب الذي أخرج بتعريبه كتاب دومر زكاة فضله في وقت قل فيه جداً من يخرجون زكوات عقولهم كما ندر من يخرجون زكوات أموالهم

مخطوطات ومطبوعات

الابطال

تأليف توماس كارليل وتعريب محمد افندي السباعي وفي ذيله تاريخ الثورة الانكليزية طبع بمطبعة البيان بمصر سنة ١٣٢٩ ص ٢٤٥

مؤلف هذا الكتاب احد فلاسفة انكلترا في القرن الماضي (المقتبس م ١ ص ٥٧) هو من الرجال الذين اثروا اثراً مهماً في نهضة أمتهم لسعة عقله وعلمه وخلوص نيته وانسانيته وكتابه هذا اشتهر في المشارق والمغارب ولذلك احسن للعربية مترجمه بنقله اليها بلغة قل ان نقل كتاب الى لساننا بما يدانيها فصاحة و بياناً .

وموضوع الكتاب الكلام عن عظماء الرجال فذكر البطل في صورة اله ومثل لذلك بوثنية اهل الشمال واعتقادهم بالوهية او دين في الازمان القديمة ثم البطل في صورة رسول واورد لذلك سيرة محمد عليه الصلاة والسلام على اسلوب لم يكتب لغربي فيما نحسب ان كتب بقوته فجسم سيرته الشريفة في ٤٢ صفحة بعبارات تشف عن انصاف ليس بعده غاية . قال : لقد اصبح من اكبر العار على اي فرد متمدن من ابناء هذا العصر ان يصغي الى مايظن من ان دين الاسلام كذب وان محمداً خداع مزور وآن لنا ان نحارب مايشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصاء أكذوبة وخدعة ! اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابداً ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج و يصادفان مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس الا بله ومجانين وما الحياة الا سخف وعبث وأضاعة كان الاولى بها ان لاتخلق

« فوا اسفاه ماأسوأ هذا الزعم وما اضعف اهله واحقهم بالرثاء والمرحمة و بعد فعلى من اراد ان يبلغ منزلة مافي علوم الكائنات ان لايصدق شيئاً البتة من اقوال اولئك السفهاء ! فانها نتائج جيل كفر وعصر جحود والحاد وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الارواح في حياة الابدان ولعل العالم لم يرقط رأياً اكفر من هذا

والأم وهل رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد ديناً ويفشره عجباً والله ان الرجل الكاذب لايقدر ان يبني بيتاً من الطوب ! فهو اذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وماشاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه بيت وانما هو تل من الانقاض وكثيب من اخلاط المواد نعم وليس جديراً ان يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائة مليون من الانفس ولكنه جدير ان تنهار اركانه فينهدم فكأنه لم يكن واني لاعلم انه على المرء ان يسير في جميع امره طبق قوانين الطبيعة والاابت ان تجيب طلبته وتعطيه بغيته . كذب والله ماتدعيه اولئك الكفار وان زخرفوه حتى خيلوه حقاً وزور وباطل وان زينوه حتى اوهموه صدقاً ومحنة والله ومصاب ان ينخدع الناس شعوباً وانما يهذه الاضاليل وتسود الكذبة وتفوز بها تيك الاباطيل وانما هو كما ذكرت لكم من قبيل الاوراق المالية المزورة يحتال لها الكذاب حتى يخرجها من كفه الاثيمة ويحبق مصابها بالغير لا به »

وهكذا اخذ المؤلف يسرد حالة العرب في الجاهلية وفي الاسلام وكيف قام الرسول وماعمله بعبارات تشف عن روح عالية ولاغرو فهي الفلسفة ومحال ان تتطلى على فيلسوف عارف مثل هذه الحقائق . ثم ذكر البطل في صورة شاعر واستشهد بدانتي شاعر الطليان وشاكسبير شاعر الانكليز ثم ذكر البطل في صورة قسيس فذكر لوثير البروتستانتية ونوكس البيوريتانية ثم اورد البطل في صورة كاتب ومثل لذلك بجونسون وروسو وبارنز ثم ذكر البطل في صورة ملك ومثل لها بكرومويل وناپوليون والثورة الانكليزية

كل ذلك تتلوه المعرب كأنك تقرأوه بلغته مع الاحتفاظ بالسلاسة واستشهد احياناً بابيات من الشواهد العربية اتى بها بالمناسبات وتكاد الالفاظ غير الفصيحة التي وقع فيها المترجم تعد على الاصابع وهي مما عمت به البلوى ونحب ان تكون مثل كتابة الباعي عار يقمته وان كانت كالوشم في الوجه او الخال في الخد وذلك مثل قوله ص ٦٢ توايا والصحيح نيات وفي الحديث انما الاعمال بالنيات ٦٦ تضحية النفس الاولى المفاداة ٦٨ لارتبعين من قرابته من ذوي قرابته ٧٣ النقطة الهامة المهمة وص ٢ اوعرت فيه تلك السبيل واوعثت وقامت فيها القحم والعقبات والموارط والمهلكات ... وازمت الكروب وتشنعت المحن ٣٩ بعقوبة صارمة والاولى شديدة ٨٤ واساليب وعوائد الاولى عادات

وقد صدر الكتاب برسم مؤلفه كارليل وطبع اجود طبع فنثني الثناء الاوفر على معربه وناشره ونستمطر شآبيب الرحمة على مؤلفه

فتح العالم الاسلامي

اعتادت رصيفتنا مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية ان تصدر الحين بعد الآخر جزءاً كبيراً من اجزائها الشهرية تخصه بموضوع خاص من الموضوعات التي تخوض عبابها وقد نشرت في جزء تشرين الثاني مجثاً في ٣٢٧ صفحة تحت عنوان فتح البلاد الاسلامية توسعت فيه في عمل البعثات الانجيلية الانكليزية السكسونية والجرمانية في بلاد الشرق فقدم له صديقنا المسيو لشاتليه مدير تلك المجلة واستاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس بباريز مقدمة ابان فيها ان الاسلام ينهزم امام تعاليم تلك المدارس التي يرى بعض القائمين بها ان كثيراً من المسلمين دانوا بالنصرانية لكثرة ماتلقنهم اياه تلك المدارس الانجيلية و يرى المسيو لشاتليه ان المسلمين لا يدينون بدين آخر بل تنزعزع عقائدهم بما يلقنون من الافكار التي تصحب اللغات الاوربية وذلك بواسطة اللغة الانكليزية والالمانية والهولاندية والافرنسية فتجعل تلك البعثات احتكاكاً بين الاسلام والصحافة الاوربية وتسهل النجاح المادي في العالم الاسلامي وهكذا تصل تلك البعثات الى العبث بالفكر الديني الذي كانت قوته بعزلته . ثم قال ان تقسيم الاسلام (اي بلاد الاسلام) السياسي سيظهر في اتم مظاهره و يسهل اعمال التمدين الاوربي على ان الاسلام يزول سياسياً ولن تكون حاله الا حال مدنية باقية في وسط التغلب الغربي ولاسبيل الى نشل الدولة العلية بعد ان ضل احرار العثمانيين سبيل انهاضها الا بتأليف ولايات متحدة اسلامية والافان تقسيم البلاد لامناص منه . و بعد ان افاض في اوضاع جمعيات التبشير واعمالها العلمية والخيرية والدينية في بلاد المسلمين وما تعده من الاسباب للقضاء على الاسلام قال الناشر في النتيجة: كان يرجى غداة الانقلاب العثماني ان يكون للاسلام دور نهضة اجتماعية ولكن زعماء حزب الاتحاد والترقي نسوا برنامجهم عندما استلموا زمام الامر فدعت الاغلاط التي ارتكبت في الاستانة وسلانيك وطهران وطوريس الى ان تعرف اوربا ان دور السياسة انتهى وجاء دور العمل . ان هذه الكتلة البشرية الموزعة في آسيا وافريقية من بحار الصين الى المحيط الاتلانتيكي ستفقد موازنتها التقليدية بزوال الخلافة (والعياذ بالله) عما قريب وانقصام عرى الممالك المستقلة فما ذا يكون والحالة هذه مصير المدنية الاسلامية اذا نظرنا اليها بانها جزء من المجتمعات البشرية والى اي وجهة يتجه نشوء الاسلام ؟ اننا بما نراه من كثرة انتشار الصحافة الاسلامية ووفرة طرق المواصلات وتأييد الروابط

الاسلامية كل ذلك سيزيد في احتكاك الشعوب الاسلامية بعضهم ببعض ولذلك يرجى ان يعظم مركز المسلمين الاقتصادي في ظل الحكومات الاوربية بفضل السهولة التي تنشأ بينهم من وحدة الاوضاع الاجتماعية في الجملة ومن استعمال لغة ادبية دينية واحدة ولذلك كان عَلَى امم اوربا ان تعمد الى سياسة التعليم والتربية مع الشرق وستكون صلات مائتي مليون في البلاد الاسلامية بحسب تأثير التربية العقلية التي يتربونها .

هذا ماقاله صديقنا عربناه عَلَى بعض جمجمة فيه وخلاصته ان الحكومات الاسلامية تنقرض والعياذ بالله ولن يبقى للمسلمين الا العمل بالمسائل الاقتصادية اي يبقون كالاسرائيليين بدون حكومة تحكمهم . كلام مر ولكن عَلَى رجال الاسلام ان يتدبروه ملياً وفي هذا البحث اسرار مهمة فيما تدخره السياسة الغربية لاكتساح الشرق ونزع دينه وسياسته وعاداته كما بدرت بوادر ذلك الآن باستيلاء فرنسا عَلَى بلاد المغرب الاقصى وايطاليا عَلَى طرابلس و برقة وروسيا وانكلترا على نزع استقلال ايران بحيث صح ان نقول ان بلاد الاسلام في صدد حرب صليبية ولكنها غير دينية كحروب القرون الوسطى بل مدنية للفتح وسلمية ببث الافكار والتعاليم الغربية .

الريحانيات

تأليف امين افندي ريحاني الجزء الثاني طبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ ص ٢٣٢

اعتاد صاحب الريحانيات وهو من نوابغ المفكرين في سورية اخذ بحظ وافر من المدنية الغربية وحظ وافر من المدنيه الشرقية ان يتحف عالم الادب الحين بعد الآخر بنفثاته النافعة واكثر مافي هذا الجزء هو مما كتبه في سورية واكثر مافي الجزء الاول مما كتبه في الولايات المتحدة الاميركية والجزء الذي املمنا الآن هو مجموعة مقالات وخطب وشعر منثور والشعر المنثور هو كما قال عنه : « يدعى هذا النوع من الشعر الجديد Vers libres بالافرنسية وبالانكليزية Free verse اي الشعر الحر او بالحري المطلق وهو آخر ماتصل اليه الارتقاء الشعري عند الافرنج وبالاخص عند الاميركيين والانكليز فملتن وشكسبير اطلقا الشعر الانكليزي من قيود القافية وولت وتمن الاميركي اطلقه من قيود العروض كالاوزان الاصطلاحية والابحر العرفية . عَلَى ان لهذا الشعر المطلق وزناً جديداً مخصوصاً وقد تجيء القصيدة

منه من البحر عديدة متنوعة . وولت وتمن هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها وقد انضم تحت اللواء بعدموته كثير من شعراء اوربا المعاصرين وفي الولايات المتحدة اليوم جمعيات «وتمنية» ينضم اليها فريق كبير من الادباء المعاني بمحاسن شعره الجلية المخلقين باخلاق الديمقراطية المتشبعين بفلسفته الاميركية. اذ ان شعره لا ينحصر مزاياه بقالبه الغريب الجديد فقط بل فيه من الفلسفة والتصور ماهو أغرب واجد .»

ولا نقول في هذا الجزء إلا كما قلنا في الجزء الاول (م ص ٢٢٠) لتدفق حرية الفكر من أطراف ورقة الاحساس من سطوره وبعد النظر من مراميه ومعانيه وكله معان فلسفية في قوالب عصرية وروح شفافة في شعور جديد فقد قل في ارباب الافكار مثل هذا النفس في اصلاح الافكار والتلطف في بلاغ العقول الجامدة محاسن الحضارة المدهشة والتجديد المفيد

وقلما شاهدنا الرحيط في كتابة كاتب كما شاهدناها في صديقنا الريحاني فكتابته يوم كان في اميركا تذكر سيئات المدنية الغربية التي لا تعرف الحماً غير الملويات حتى اذا عاد الى القرية مسقط رأسه في لبنان عاد يحجب بالعزلة وينفر من تلك المدنية المادية ولكنه يدعو الى فك العقول من قيودها والاخذ بما ينفع من مدنية لا تكون شرقية ولا غربية كتلك الشجرة المباركة ولكنه كان في كل موضوع يخوضه يجعل للحرية المطلقة نصيباً وافراً من اقواله ولذلك نقم عليه اعداء العقل وعبيد القيود من المتنطعين من رجال الدين وحاربوه حرباً لم يكد يحاربه سوري ولكن إخلاصه شفى فيه فلم ينل باذى وهو اليوم شعلة الذكاء الشرقي في بلاد الغرب وعنوان الهمة العالية امام المشارقة

يعلم المؤلف جد العلم ان من يصرح بما يصرح به يحارب و يطعن فيه الطعن المبرح في بلاد لم يزل لاوهام المتنطعين شدة وعرامة وهم لا يرون الى النيل منه اكثر من رميه بالالحاد و إنكار الصانع ولكن من يقول (ص ١٠) «انا للطبيعة وانا اليها راجعون وشكرت الله شكراً جزيلاً» لا يدل على انه ملحد بالمعنى الذي يصورونه بل هو ملحد في التقاليد الضارة حر في افصاحه عن رأيه على اساليب لم يألفها غير المنورين من سكان هذا الشرق الاقرب

قال (ص ١٣) ان الفرق بين الاولياء والاطباء قليل لا يستحق الذكر فكم من طبيب فاضل يستحق ان يطوب قديساً او يدعى ولياً بعد موته فقد تعرفت بفضل آلامي العصبية بعدد وافر من هؤلاء الافاضل وبان لي بالاختبار ما كنت أجهله. تحققت

إن الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق بين الكاهن والمحامي كلهم نفعنا الله بعلمهم وهم يتعاطون الجزيرة . كلهم يتاجرون بشيء من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات والاوهام على ان الاطباء ارفع درجة من الكاهن والكاهن ارفع درجة من المحامي »

وصرح في (ص ٢٧و٢٩) بعيوب الاكليروس وتهاونه لا لمجرد الطعن بل للاصلاح لانه لا يريد ان تظل آدابنا (٤٨) تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين (ولو قال المتنطعين من المتدينين لخلص من اللوم) وانفسنا في ربقة رجال الدين وان لم تجرد من هذا الاستبداد الديني او بالحري الغاشم كما تجردنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا مبتذلة جامدة خاسئة .

هو يقول (٥١) : على تقريرات رجال الدين وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوثيروس في ولتمبرغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في البلاد كثيرون فاصرخوا لو استغنينا عن المكهنين المدلسين ولفلتنا من رقهم، واعتصمنا بالله وبدين الله وبانبياء الله ثم قال : اني احترم العاطفة الدينية التي تكاد تكون فطرية في الانسان ولكني لا اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم -- وقد قيل هلك المتنطعون -- ما يساوي ذرة من نفس امرئ عراقية

ومن يقول فكره بهذه الصراحة لا يرمى بالالحاد والمروق ولكن المؤلف ينحي كثيراً على رجال الدين في قومه يريد بالقوارص التي يوجهها اصلاحهم ودعوتهم الى الوطنية لئلا تفرقهم المذاهب (١٣١) فان عدوا عليه مثل هذه الهنات وربما اتى بعضها من كونه لم يرزق كل حين حظاً من جمال التعبير او انه بين ولم يجمجم والجمجمة كالنقيصة لا يأس بها بين القوم المخالفين اذا خشيت الفتنة فقد اتى بحسنات لا ينكرها عليه اشد الناس حظاً من خصومهم قال (ص ٤٥) :

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين بين مدنية غازية منتصرة وأخرى مدبرة فعلينا ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي وان نمسك بما في مدنيتنا من الخير الروحي ولا ينجينا من استبداد هذه المدنية الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبرة سوى الآداب . ولا اريد بالآداب الكتب فقط بل اريد منها آداب النفس اولاً والاخلاق . ان الدين وهو اية مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب والعلم المادي وهو اله مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق فالدين والعلم في هذا الموقف متغرضان كل لقومه ولا ينفعنا الواحد منهما دون الآخر . واني لا اجد سبيلي لكل قوى

الفكر والنفس وثمارهما اصلح وانجع من الآداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدنية جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام . واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية تكون ولا غرو مجد المستقبل وأم الامم . على شطوط البحرين وفي اودية الرافدين احب ان أشاهد مثل هذه المدنية الجامعة بين محاسن المدنيتين . احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكمالها . احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة . احب ان تزرع بساتين هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة شجرة لاغربية ولا شرقية

وقال في التساهل الديني وانه موجود بين الدول في معاملاتهن احداهن للاخرى ولكنه غير موجود بين الاوربيين ومن يدعونهم بالمتوحشين فالدول (١٢٣) لا تتساهل مع هؤلاء المساكين الضعفاء بل تتساهل بعضها مع بعض لانها تضطر الى ذلك وليس حباً بالمبدإ الشريف فكثيراً ماراها تشهر الحروب على القبائل الضعيفة وتدعوها حروب الانجيل وذلك لكي يدين « البرابرة » بالدين المسيحي كرهاً وجبراً . وهذا هو التعصب الدولي الديني هذي هي الاضطهادات التي تمارسها ضد « البرابرة » كما تزعم والبرابرة قوم يأكلون ويربدون مثلنا . هذه هي حروب شارلمان واضطهادات الملكة حنة الانكليزية والملك كارلوس الافرسي هذه هي مذبحة ليلة القديس برتلماوس فعوضاً عن حدوثها في باريز وفي القرن السابع عشر تحدث الآن في صحاري افريقية وفيافي آسيا وتلول السودان وفي آخر القرن التاسع عشر . ياللعار ويالليشنار ! عبثاً يكتب العلماء ويندد المصلحون ويبحث الفلاسفة عبثاً اتى السيد المسيح الى الارض لمثل هؤلاء الاقوام .

وبالجملة فالمحاميات كلها آية في الحرية داعية الى التساهل الديني محببة بالمدنية المعقولة المحمودة مقربة بين القلوب جارياً على حد قوله « الكتب المقدسة تصلح الحياة ولكنها لا تعمر البلاد والعلوم المادية تعمر البلاد ولكنها لا تصلح الحياة اذن كتبكم المقدسة احفظوها وكتب العلم عززوها »

كتب ورسائل مختلفة

تنبيه الطالب الى معرفة الفرض والواجب للشيخ جمال الدين القاسمي طبعت في مطبعة مدرسة والدة عباس الاول بمصر سنة ١٣٢٦ — ١٩٠٨

رسائل الانتقاد — هي الرسائل التي أحياها بالنشر السيد حسن حسني عبد الوهاب في مجلد السنة الماضية من المقتبس تأليف ابي عبدالله محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني المتوفى سنة ٤٦٠هـ طبعت في مطبعة المقتبس في ٤٠ صفحة

ملقى السبيل — رسالة في الوعظ والحكم نشرت في الجزء الماضي من المقتبس بعناية السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي وهي لابي العلاء المعري وقد علق عليها الناشر حواشي نافعة كما هي عادته وهي في ١٧ صفحة طبعت في مطبعة المقتبس

تمرين على واعراب لسان عربي صرف فصحى — هو كتاب في صرف اللغة العربية بالتركية لمحمد شاكر افندي الخليلي جعله مع التمارين والاعراب في ٢١٠ صفحة طبع بمطبعة رشادية في الاستانة ١٣٢٩هـ—١٣٢٧ ش

العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية — للشيخ عبد الغني النابلسي طبع على نفقة الشيخ محمد سعيد افندي شيخ تكية المولوية بدمشق في مطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩ عدد صفحاته ٣٢

مطول في انشاء المكاتيب — تأليف امين افندي الخوري طبعة عاشرة في مطبعة الاقتصاد ببيروت سنة ١٩١١ ص ٣٢٠

قصائد احمدية من الميرزا غلام احمد (المسيح الموعود والمهدي المعهود) طبعت على نفقة الجمعية الكبرى الاحمدية بمطبعة الميكرين بقاديان الهند ص ١٥٨

نسيات الصبا في منظومات الصبا لجرجي افندي شاهين عطية طبعت بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٩٠٤

جدول في المنطق للشماس توما دبو المعلوف طبع بالمطبعة البطريركية للارثوذكسية بدمشق سنة ١٩١١

اثر حسن — مجموع مراثي الدكتور سليمان الخوري الحمصي جمعه رزق الله افندي نعمة الله عبود طبع بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٤ ص ٢٨٨

البيان — مجلة دينية عمرانية تاريخية ادبية لمنشئها مصطفى وهبي افندي البارودي وجميل افندي عبدالقادر بدره في طرابلس الشام تصدر مرة في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية مجيدي وربع وفي الاقطار الاجنبية سبعة فرنكات

اخبار وافكار

تاريخ بيروت

القى الدكتور بورتر مدرس التاريخ في كلية الاميركان في بيروت محاضرة في تاريخ هذه المدينة فقال :

بيروت احدى مدن فينيقية القديمة انشئت بعد دمشق واقدم مدن فينيقية صيدا و بيروت وجبيل . ونحن لا نعرف بالتحقيق زمن انشائها ولكن يوسيفوس المؤرخ العبراني ذكر اسم رجل فينيقي وقال ان موطنه بيروت وذلك دليل على قدمها . وفي اساطير الاولين ان ابنة الهة جبيل (Gibel) تزوجت من ملك وكان اسمها بيروت فسميت مدينة زوجها بيروت باسمها . ونعرف طرفاً من تاريخ بيروت في القرن الخامس عشر قبل المسيح من الآثار المصرية وذلك ان توتميس الثالث جرد جيشاً على سورية وامتلكها ولما اشتد ساعد الحثيين والاموريين في الشمال اخذوا يطردون المصريين شيئاً فشيئاً وكان عمال المصريين في سورية يكتبون و يستنجدون فرعون مصر لاغاثتهم . وقد اكتشف منذ عشرين سنة بعض هذه المكاتيب المحفورة على قوالب الآجر ومن جملتها مكتوب من حاكم بيروت الى فرعون مصر يخبره فيه بحالته مع الحثيين والاموريين وتاريخ المكتوب في القرن الرابع عشر قبل المسيح . ومما يترجح ان بيروت مأخوذة من كلمة (بئر) واظن انها مأخوذة من اللغة الفينيقية لان لفظ بيروت يقابل جمع كلمة بئر في اللغة الفينيقية . ومما يؤيد ذلك عندي انني لما اتيت الى هذه البلدة منذ بعض سنة وكان في ذلك الحين لم يجلب ماء نهر الكلب كنت اينما اتجهت اري آباراً والآن كثير منها ردم فيصح ان يقال انها سميت بيروت او مدينة الآبار لكثرة آبارها .

و بيروت كانت منذ القديم عظيمة بتجارتها و يظن ان مركزها اليوم غير مركزها في العصور الخالية والمرجح انه كان جنوبي مركزها الآن وذلك عند نهر الديروقد كشفت آثار بناء هناك وكما هو معروف ان الشاطئ هناك مرمل لا يصلح لميناء ولكننا لو نظرنا الى حالة الفينيقيين البحرية نجد ان سفنهم كانت شراعية صغيرة لا تستطيع السفر وقت الشتاء وكانوا يخرجونها الى البر و ينقطعون عن الاسفار فلذلك يجب ان يكون الشاطئ رملياً اذ يسهل اخراج المراكب اليه . ولما لم تأت نجدة من مصر سقطت بيروت في ايدي الحثيين ثم جرد عمسيس الثاني على سورية حملة حارب الحثيين فيها فكسرهم وأخذ بيروت ثم

اقتسموا البلاد بينهم، ولرعمسيس أثر على صخر عند مدخل وادي نهر الكلب . وهكذا ظلت البلاد تحت حكم المصريين والحثيين الى ان قامت دولة اشور وأخذت بيروت كما أخذت سائر مدن سورية وقد وضع بختنصر (نبوخذ نصر) تاريخ هذه الحملة ايضاً عند نهر الكلب ويرجع تاريخها الى القرن التاسع قبل المسيح ولما قامت دولة الفرس اخذت بيروت كما اخذ اخوتها من مدن سورية ولكنها لم تذكر في التاريخ كما ذكرت صيدا وغيرها . وامتلك بيروت الاسكندر الكبير كما امتلك سائر مدن سورية بدون مقاومة المدينة عكا . وقد حكم سورية بعد الاسكندر البطالسة وفي سنة ١٩٣ احتل السلوقيون سورية وفي سنة ١٤٠ قبل المسيح خربت بيروت بسبب حرب أهلية وفي سنة ٦٤ احتل الرومانيون سورية وكان القائد على حملتهم بومبي . واضحت بيروت في ايام اغسطس مستعمرة رومانية . والمستعمرات الرومانية كانت تؤسس في ايطاليا لاسكان العساكر الرومانيين الذين خدموا الرومان خدمة تذكر ولما اتسع ملك الرومان لم يبق ارض لاسكان هؤلاء العساكر فأخذوا يسكنونهم في املاكهم خارج ايطاليا . ثم اضحت بيروت مركز الفيلق الخامس والثامن من الجيش الروماني وعمرت بيروت على عهد الرومانيين وآثارهم فيها موجودة بكثرة . ولما اتيت بيروت رأيت كثيراً من الاعمدة القديمة عند ادارة الرومات وقد ردمت هذه الاعمدة عندما بنيت الميناء الجديدة ولما قطعوا الطريق الجديدة في بيروت وجد كثير من الآثار الرومانية وقد اسس الرومان في بيروت مدرسة لدرس الحقوق وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر وبجانب هذه المدرسة اهم مدارس الرومانيين في الشرق وعندما انتشرت المسيحية لنصر كثير من تلامذة هذه المدرسة وكانوا عرضة للاضطهاد وعند ظهور الاسلام احتل المسلمون سورية وخضعت بيروت لهم في خلافة يزيد . وبعد قرن من خضوعها ظهر في بيروت الامام الاوزاعي ويقول ابو الفدا ان مولده كان في بعلبك ومات قرب بيروت واظن ان لقبه المعروف بالاوزاعي الآن هو قبره ولما تراجعت قوة الامويين وانتشرت سلطة الفاطميين خضعت بيروت لهم وذلك في خلافة الحاكم بامر الله مؤسس الديانة الدرزية وكانت بيروت في عهد الصليبيين تختلف بين حكم المسلمين والافرنج . وخربت بيروت الزلزال سنة ٥٥٠ م وسنة ١٥١١ اخذها السلطان سليم العثماني مع باقي مدن سورية ومنذ ذلك الحين لا تزال مدينة عثمانية اه

الزراعة في روسيا

تبين من الاحصاء الاخير الذي وقع في خمسين ولاية من ولايات روسيا في اوربا

وعشر ولايات من مملكة بولونيا التابعة لها ان توزيع الارض على هذا النحو وذلك بمقياس الف آكر تسعى مستعمرة والآكر يساوي ٤٠ آراً ٤٦٧١ . فظهر ان مملكة روسيا والامبرة الممالكة فيها والشركات الزراعية تملك ٤١٧٦١٨ مستعمرة زراعية او ٣٦ من المئة من سطح المملكة المعمور ومجموع الفلاحين يملكون ٣٧٤٦٣٤ مستعمرة او ٣٢ في المئة والمالكين ملكاً خاصاً ٢٧٤٦٥٦ الى ٢٣ في المئة وفي البلاد ٩٢٤٥٦ مستعمرة او ٨ في المئة غير قابلة للزراعة وتملك الحكومة والامبراطور والمدن من مملكة بولونيا ٢١٨٤ مستعمرة اي ٧٤ في المئة وللفلاحين ١٢٢٢٣ او ٤١٠٦ في المئة والمالكين الخصوصيين ١٣٢٢٦ او ٤٦٠٦ في المئة و ١٢٧٤ مستعمرة او ٤٠٤ في المئة غير صالح للزراعة . ويكون في روسيا اوربا ٣٤٠٦ في المئة من الاراضي والحقول و ١٦٥٠ من الحدائق او المروج و ٤٠٢٩ غابات و ٨ في المئة بور وتبلغ الارض القابلة للزرع في بولونيا ٥٥٠٦ في المئة والحدائق والمروج تكون ١٩ في المئة والغابات ٢١ في المئة من مجموع الاراضي والاراضي البائرة ٤٠٤ في المئة فقط . واهم مزروعات روسيا الحنطة والجاودار والزوان والشعير والبطاطا والعلف والكتان والقنب والتبغ . و يهتمون بتربية الخيل والبقر والغنم والعنز والخنازير وكان في البلاد الروسية سنة ١٩٠٩ — ٣٢١١٤٠٠٠ حصان و ٤٨٤٩١٠٠٠ رأس من الماشية و ٨٠٠٠٠٠٠ غنم وماعز

القهوة ومحالها

كتبت « مجموعة ابو الضيا » التركية مقالة في القهوة ومحالها قالت فيها ادعى الدكتور لاند الالماني ان أول محل للقهوة أُنشئ في الاستانة سنة ١٥٥١ كما أُنشئ أول محل لها في ايطاليا سنة ١٦٤٠ وفي انكلترا سنة ١٦٥٢ وفي فرنسا سنة ١٦٥٩ وفي فرنكفورت وآم ماين سنة ١٦٧٥ وفي وارسوفيا سنة ١٦٨١ وفي فينا سنة ١٦٨٥ والغالب ان الكاتب ارتكب هذا الغلط لما علم من تاريخ انتشار القهوة وذلك انه جيء بها من اليمن على عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٨ فاحترقت فتوى باغراق السفن التي تحملها مع حمولتها فاغرقت امام دار المدفعية (طوبخانة) بالقسطنطينية وقد سرد كاتب جلبي اسباب ذلك في كتابه ميزان الحق في اختيار الاحق ولقد دخل الدخان الى الممالك العثمانية على عهد السلطان احمد الاول سنة ١٠١٢ وجرى استعماله في الاستانة سنة ١٠٢٢ واُسست محال القهوة سنة ١٠٢٤ في زاوية من زوايا « خالجيلر » وفي سنة

١٠٤٣ أحرقت في الحريق المشهور جميع محال القهوة وذلك على عهد السلطان مراد الرابع وعندها صدر الامر بمنع التدخين وكل من روي بانه شربه او اخبر عنه بانه شربه يقتل في الحال وهذه الشدة في المنع اتخذت اذ ذاك حجة سياسية وذلك لان السلطان مراد أراد أن ينتقم للسلطان عثمان الذي قتله أرباب الفتوة من اليكجرية (الانكشارية)

فكان على هذه الصورة ينكل ببغاتهم فتوضع على من يراد اعدامه منهم لانه شرب الدخان علامة فارقة وهي عبارة عن مشعل يتبطونه به يبقى عليه الى المساء موقداً وقد رأى ذات يوم السلطان مراد في احدى الساحات رجلاً من الانكشارية يتقدم الى آخر من اخوانه مصلوب لانه شرب الدخان فاخرج غليونه من جيبه وشعله من المشعل فعجب الناس من هذه الجرأة ولم يسع ذاك السلطان المستبد إلا ان أصدر امره على لسان الدلالين بيبح استعمال الدخان كما كان سابقاً والغالب بان السلطان ظن بان جرأة هذا الانكشاري ناتجة عن تحرش بفتنة يدبرها اخوانه . اما استعمال السعوط في الاستانة فكان سنة ١٠٥٠ ومن حسن الطالع انه لم يشع استعماله قبل سنة ١٠٤٩ والا لكان السلطان مراد قضى بجدع انف من يستعمله جزاء وفاقا.

التعليم في روسيا

يرجع امر معظم المدارس الروسية الى نظارة المعارف العمومية وقد قسمت بلاد هذه الامبراطورية الى خمس عشرة منطقة من حيث المعارف وهناك عدة مدارس خاصة تشرف عليها بعض النظارات الاخرى كنظارة الزراعة والاشغال وغيرهما . وكان عدد الكليات في روسيا سنة ١٩٠٩ تسعاً وهي كلية بطرسبرج ، موسكو ، خاركوف ، كيف ، قازان اودسا ، دوربال ، تومسك ، وارسوفيا وقد اغلقت الكلية الاخيرة موقتاً ويبلغ عدد تلامذة هذه الكليات المستمعين فيها ٣٩٤٩٤ . وافتتحت كلية جديدة سنة ١٩٠٩ في مدينة ساراتوف . ومنذ ١٩٠٨ أنشئت في موسكو كلية للشعب اسسها القائد شانفسكي واتفق عليها من ماله وسماها باسمه وفي كثير من المدن والحواضر مدارس للتعليم العالي . وفي كيف وموسكو و بطرسبرج وقازان مجامع علمية لاهوتية وفي اشمياز ين من بلاد القوقاز (القافقاس) مدرسة لاهوت للارمن وفي بطرسبرج مدرسة للكاثوليك . ولكل من بطرسبرج وموسكو وخاركوف مدارس طبية ملكية وعسكرية منها مدرسة للنساء

ثم ان المجامع العلمية ومدارس الهندسة والمعادن واللغة والغابات والصناعات النفيسة وغيرها كثيرة جداً في المدن الكبرى في المملكة الروسية ولدوقية فنلاندا الكبرى كلية خاصة في هلسنكفور كانت تضم حجرها سنة ١٩٠٩ — ٢٠٠٠ طالب

وعدد الطلبة التي يتعلمون في روسيا مجاناً او على نفقة المحسنين نحو اربعة الآف . وعدد المدارس الابتدائية ٩٣٥٠١ منتشرة في طول البلاد وعرضها ونصفها لنظارة المعارف او للمجمع المقدس (سينود) وفيها ٧٠٨٩٤ استاذاً ومعلماً و٥٧٣٨٠٨٩ تلميذاً وفي روسيا ١٠٨٢٢٠ مدرسة من كل صنف من اصناف التعليم فيها ٦١٦٤٩١٣ طالباً وتلميذاً ولا يدخل في هذا العدد ٤٠٤١٧١ تلميذاً يتعلمون في مدارس خاصة ومع كل ماتبذله الحكومة الروسية في سبيل نشر المعارف فان عدد الأميين من بنيها مما يرتعش له فان ٧٧ في المئة أميون في روسيا اوربا و٨٧ في سيبريا و٩٤ في آسيا الوسطى . وفي الولايات المتقدمة جداً في روسيا مثل ولاية استونيا لاينزل عدد الاميين عن ٢٠ في المئة وفي بطرسبرج عن ٤٥ في المئة وفي غير ذلك من الولايات التي تعد راقية لاينحط عن ٥٠ في المئة

وقد بلغ ماانفقته نظارة المعارف الروسية سنة ١٩١٠ والمقاطعات والمجمع المقدس على المدارس والتعليم ١١٣٠٥٩٥٠٠٢ من الروبلات والروبل فرنكان و٦٦ سنتيماً

الورق المعدني

يؤكدون انه لايمضي اربعون سنة حتى تأتي المطابع على مافي اولايات المتحدة وكندا من الغابات بما تستنفده كل يوم من أشجارها لصنع الورق اللازم للصحف والكتب ولكن اديسون مخترع التلفون هوّن الامر على سائل سأله في هذا الشأن رأيه قائلاً ان الورق يعمل اذ ذاك من الفولاذ او النحاس أو النيكل فيمتص الحبر كالورق المعمول من الخشب والخرق البالية اليوم وتكون سماكته واحداً من عشرين الفاً من القيراط وهي أصلب والين وارخص من الورق المعروف

ثم ان المجامع العلمية ومدارس الهندسة والمعادن واللغة والغابات والصناعات النفيسة وغيرها كثيرة جداً في المدن الكبرى في المملكة الروسية ولدوقية فنلاندا الكبرى كلية خاصة في هلسنكفور كانت تضم حجرها سنة ١٩٠٩ — ٢٠٠٠ طالب

وعدد الطلبة التي يتعلمون في روسيا مجاناً او على نفقة المحسنين نحو اربعة الآف . وعدد المدارس الابتدائية ٩٣٥٠١ منتشرة في طول البلاد وعرضها ونصفها لنظارة المعارف او للمجمع المقدس (سينود) وفيها ٧٠٨٩٤ استاذاً ومعلماً و٥٧٣٨٠٨٩ تلميذاً وفي روسيا ١٠٨٢٢ مدرسة من كل صنف من اصناف التعليم فيها ٦١٦٤٩١٣ طالباً وتلميذاً ولا يدخل في هذا العدد ٤٠٤١٧١ تلميذاً يتعلمون في مدارس خاصة ومع كل ماتبذله الحكومة الروسية في سبيل نشر المعارف فان عدد الأميين من بنيها مما يرتعش له فان ٧٧ في المئة أميون في روسيا اوربا و٨٧ في سيبيريا و٩٤ في آسيا الوسطى . وفي الولايات المتقدمة جداً في روسيا مثل ولاية استونيا لاينزل عدد الامبين عن ٢٠ في المئة وفي بطرسبرج عن ٤٥ في المئة وفي غير ذلك من الولايات التي تعد راقية لاينحط عن ٥٠ في المئة

وقد بلغ ماانفقته نظارة المعارف الروسية سنة ١٩١٠ والمقاطعات والمجمع المقدس على المدارس والتعليم ١١٣٠٥٩٥٠٠٢ من الروبلات والروبل فرنكان و٦٦ سنتيماً

الورق المعدني

يؤكدون انه لايمضي اربعون سنة حتى تأتي المطابع على مافي الولايات المتحدة وكندا من الغابات بما تستنفده كل يوم من أشجارها لصنع الورق اللازم للصحف والكتب ولكن اديسون مخترع التلفون هوّن الامر على سائل سأله في هذا الشأن رأيه قائلاً ان الورق يعمل اذ ذاك من الفولاذ او النحاس أو النيكل فيمتص الحبر كالورق المعمول من الخشب والخرق البالية اليوم وتكون سماكته واحداً من عشرين الفاً من القيراط وهي أصلب والين وارخص من الورق المعروف